سلسلة
ل آخر الزمان (٣)

العائدون إلى الله

قراءة في سر الأسرار
لإجابة ما هو صعب الإجابة

أحمد أبو النور

ظهر أولى الكتاب

تصميم الغلاف :
م. محمد جمال الدين محمد وهدان

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

... أنْ أخْرِجْ قوْمَكَ مِنَ الظُّلُمات

إلى النور وذكِّرْهُم بأيَّام الله ...

صدق الله العظيم (ابراهيم : من ٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

أحْمَدُ ربنا الله تعالى ، وأشكر فضله العظيم ، وإحسانه العميم ، والذى تَعْجَزُ معه ألْسنةُ الخَلْقِ ، أن يقدروه - حمداً وشكراً - حق قدره ومقداره العظَيمين .

ربِّ ... أقَدِّرُكَ حقَّ قدرك ومقدارك العظيمين ، وأتَبرأ مِنْ حولى وقوّتى لحولك وقوّتك وأتبرأ من علمى الجاهَل الزائل ، ... « سبحانك لا عِلْمَ لنا إلاَّ مَا علَّمْتَنا .. » ...

ربِّ ... لا أدَّعِى لنفسى شيئاً ...

إنْ هى إلاّ رحمتُك السارية فينا ... والناطقة على ألسنتَنا ...

ربَّنا الله ... لك أسجد حمداً وشُكراً ... أنْ سَرَتْ فىَّ رحمتُك فأنْطَقَتْنِى بعد صمتٍ وصومٍ عن الكلام ...

أنطقتنى رحمتُك ... فكتبتُ عن رحمتك ...

ربَّنا الله ... لك أسجد خوَفاً ... فأنا مَنْ أنا حتى أقول عنك ...

ربنا الله ... لك أسجد طامعاً ... إنْ قَبلْتَ لوجهك ماخطَّت يدى ... فاجعلنى مِنَ المَقبولَين عِندك ...

ربنا الله الذى فى السماء تقدَّس اسمك ... أمْرُكَ فى السماء والأرض ... كما رحمتك فى السماء ... كذلك اجعل رحمتك فى الأرض ... وارحمنا وتُب علينا ... إنك أنت التواب الرحيم .

آمين

قبل أن تقرأ هذا الكتاب

لعل حقيقة الحقائق ، وأنصعها على الإطلاق وأكثرها بساطة وتعقيداً فى ذات الوقت ، هى أننا أصحاب وجود فى هذا الكون ..! مثلنا مثل غيرنا من أنواع المخلوقات التى نعرفها والتى لا نعرفها ، وإن تشابهنا معها أو اختلفنا . فكل مخلوق فى هذا الكون هو موجود ، إذن فهذا الكون - بكل إطاراته وحدوده وقوانينه وزمنيته وأينيته وبكل ما يحويه - هو مجرد « خَلْق » ، تأصّلت فيه - مؤقتاً - أنواع لا حصرلها من المخلوقات ، تنضبط بقوانين صارمة الحبكة لا مجال لأحد على خرقها أو تعديلها ، أو الثورة أو الإعتراض عليها ، لكننا نرى ذلك يراود الكثير من الخلق !!

كيف ؟! ولماذا ؟!

فالكلُّ - ما نعلم وما لا نعلم ، ما نرى وما لا نرى - مخلوق ...

فما هو المخلوق إذن ؟!

هو ما تم إيجاده - أو خلقه - بشكل معين لأهداف وأداءات معينة ، إرتباطاً بقوانين تنظيمية وتنسيقية تُنظِّم هذا المخلوق فى حد ذاته ، وتُنَسِّق أيضاً ما بين هذا المخلوق وبقية المخلوقات ...

فالانسان مخلوق له قوانينه التى تُنظِّمه ... ميلاد ... مأكل ... شراب ... تنفس ... حياة ... موت ... الخ ، والهواء مخلوق ... والشمس مخلوق ... والأرض مخلوق ... الخ ...

ولكل مخلوق قوانين تُنظِّمه تماماً ، وأخرى تنسيقية لضمان تناغم الكون بمخلوقاته وانضباط مسيرته الكلية الجماعية بما يحوى ...!

والمخلوق - كل مخلوق - هو مُحدث ... بمعنى أنه تم إيجاده فى لحظة معينة لم يكن موجوداً قبلها . إذن فكل المخلوقات ، ما نعلم ، ما لانعلم ، ما نرى وما لا نرى ، كلها محدثة ، أى كانت لها لحظة إيجاد لم تكن موجودة قبلها .

وبديهى أن المخلوقات لم يتم إيجادها - بالتزامن - دفعة واحدة . وبمعنى أن للمخلوقات ترتيباً فى القِدَم ، فهناك منها التى سبقت الآخرى من منظور أقدمية أو أسبقية الإيجاد .

ومن البديهى أيضاً ، أننا لو زعمنا معرفة ترتيب سلسلة المخلوقات بدقة من حيث درجة القِدم ، وبمعنى أن هذا خُلِقَ سابقاً وهذا تالياً وذاك آخراً ... الخ . إن أقصى ما سنصل إليه لحظتها أن هناك سلسلة مخلوقات ذات درجات قِدم مختلفة ، وسنصل أيضاً إلى أن هناك لحظة شهدت أول نوع من الخلق ، ولكن ماذا قبلها ؟!!

قبل أول خلق ، لم يكن سوى الخالق (تعالى) ، ماذا كان الوضع لحظتها ؟!!

كان الخالق تعالى ، ولا شئ ولا أحد معه ، لأن كل شئ وأحد هو مخلوق ، وقبل الخلق ما كان سوى الخالق ...! .. لأنه من البديهى أن يسبق الخالق ما يخلق ، ولكى يكون الخلق لابد من وجود مَنْ يخلق ...!

والخالق - تعالى - كان يمكن أن يظل كما هو ولا يخلق ما خلق ...!!!

وبعد أن خلق ما زال هو كما هو ... لم تضف له مخلوقاته شيئاً ...!!!

والدليل على ذلك أنه كان قبلها كما هو بعدها !!

إن مَنْ يفعل شيئاً لابد وأن يكون له من الأسباب التى تجعله يفعل ما يفعل ... نعم هذا منطق صحيح ولكن فى نطاقنا نحن كمخلوقات ، لأن الأسباب ومبرراتها للمخلوقات إنما هى مُحرِّكات وبواعث فعل لصاحبها ، وهى تحوى من الإضطرار - ما تحوى - لقيام الفاعل بأداء الفعل . ولكن الخالق تعالى لم يكن مضطراً أن يخلق ...!!!

لماذا خلقنا الخالق إذن ، وخلق كل شئ ...؟!!

بل أنه - كما قلنا - خلق كل نوع من الخلق ومعه قوانينه المنظمة له ، وأخرى تنسيقية بين أنواع المخلوقات وبعضها البعض ... والقوانين المنظمة لكل مخلوق ، والأخرى التنسيقية العامة السارية المُطبَّقة على كل المخلوقات ، إنما هى تنظيم لبدء واستمرار ونهاية كل مخلوق فى سلام وتناغم بين جنسه وبين كل أجناس مخلوقات الكون .

فمثلاً ... من القوانين الخاصة التى تنظم حياة الانسان مع نفسه ومع بنى جنسه قانون الزواج ، والذى يحكم الإنسان فى وجود نسل أو سلالة إنسانية جديدة ، وليس للإنسان مخرج من ضرورة التعامل مع هذا القانون ... إذا ما أراد وجود نسل جديد ...! وكذلك قوانين الإحتياج للطعام والشراب لاستمرار الحياة ... التنفس ... الموت ... الخ .

ومن أمثلة القوانين العامة ... الليل والنهار ... والشمس ... والقمر ... واستفادة الإنسان منها واحتياجه إليها ... الخ .

هذا وغيره كثير وكثير وكثير جداً ... ولكن ... نعود مرة أخرى لسؤالنا ... لماذا خلقنا الخالق ؟!!

وبعد أن خَلَقَنا هل تركنا دون فتح حوار بينه - تعالى - وبيننا ؟!!

أم أن الحوار مفتوح ...؟!! وما جدوى هذا الحوار ؟!

وهل بعد أن خلق - تعالى - كل نوع من المخلوقات وضَبَطَها بقوانينها الحاكمة لها ونسَّق بين كل المخلوقات بقوانين تنسيقية مُحكمة ، أيظل لدى الخلق ما يحتاج لقوانين أخرى ؟!

وهل بعد ضبط الكون والمخلوقات بالقوانين ، يحتاج الأمر لتدخل الخالق فى مسيرة حياة مخلوقاته ؟

وهل يحتاج الإنسان لنوعية قوانين خاصة أخرى تُرشِّد ما لم تحكمه القوانين الأساسية لطبيعة خلقه وجنسه ؟!!

وهل هناك فى الإنسان ما لم تحكمه تلك القوانين ؟!! ... نعم ... يحتاج الإنسان لضبط ما هو غير مادى فيه ، يحتاج لضبط وترشيد ما لايُرى بداخله ، والذى هو حقيقته ... فالكون الذى تم إيجاد الإنسان فيه ، إنما تُنَظِّم فيه حياته من حيث كيفية الوجود إبتداءً من خلال الميلاد لأب وأم وخلال مسيرة حياته وحتى مماته ارتباطاً بتلك القوانين التى ذكرناها ...

إذن فتلك القوانين إنما تُنظِّم للإنسان ماديته مثل أى نوع آخر مادى من المخلوقات . ولكن أين خصوصية الإنسان كخلق ؟ أين قوانين ضبط وتغذية روحه ونفسه وعقله ؟!! ... ولذلك كان لابد من فتح حوار بين الخالق تعالى والمخلوق بل والأكثر من ذلك هو استمرارية هذا الحوار ....!!! نعم فالحوار مفتوح ... بدأه الخالق مع المخلوق ... أُمَماً وأفراداً ... لكننا نجد الانسان بسوء فهمه ثائراً متمرداً على نفسه وعلى خالقه وهو لا يدرى أن الحوار مع خالقه مفتوح ... وكان أولى به أن يسمع ويعى ويهدأ ...!

لكنه ثائر ...!

ويسأل نفس السؤال الذى سألناه بهدوء ... « لماذا خلقنا الخالق » ؟!

ولكنه يسأله بثورة وبسخط ...!

يقول لك ... لماذا خلقنا الله ؟! « مش عارف أنا جيت ليه » ؟!!

من أنا ... ومن أنت ... من أين أتينا ... ولأين نمضى ...؟!

أنا فقير ... وهذا غنى ... هذا مريض ... وذاك صحيح ... هذه جميلة وهذه أقل جمالاً ... هذا مُسلم ... وذاك مسيحى ... هذا رجل وتلك امراة ... هذا أبيض ... وذاك أسود ... هذا ابن فلان ... وأنا ابن فلان ... الخ .

لماذا الأمر هكذا ؟! ... لماذا أنا وُلدتُ فى مصر ... ولم أولد فى انجلترا مثلاً ؟ لماذا لم يكن ميلادى فى عام ١٨٠٠ مثلاً أو فى عام ٢٠١٠ ... الخ .

أنا غير متحكم فى شئ ... الأمر كله خارج نطاق أيدينا ... ثم بعد كل ذلك يأتى الموت ... وينتهى كل شئ ...!

وتأتى الأديان وتقول إن الله الذى خلقكم ، إنما لديه جنة للأبرار ونار للأشرار !!

أى أبرار وأى أشرار هؤلاء ... وهم لم يتحكموا فيما جاءوا فيه ؟!

وكيف تواجد الشر فى هذا العالم ؟! ولماذا لم يُرِحْنا الله منه ؟!

بل تجد هذا الثائر ... يقول لك ... قرأت الكتب والمجلدات عما يسمونه القضاء والقدر والتسيير والتخيير ، ولكنى بعد كل ذلك أجد نفسى مُسَيَّراً ومدفوعاً لما أنا فيه ... فكيف يحاسبنى الله على ما أوجدنى فيه ؟!

أو ليس هو القائل « يُضلُّ مَنْ يشاء ويهدى مَنْ يشاء » ؟! إذن ولطالما هو الذى قال هذا ، فذلك تأكيد على أنه يُضل هذا ويهدى ذاك ، فكيف يكافئ من هداه هو ، ويُعاقب من أضلَّهُ هو ؟!!!

ولأكثر من ذلك تجد هذا الثائر المسكين يقول لك ... إنهم يتكلمون عن الملائكة وعن الشياطين ، وأن هذا خير وذاك شر ... إننى لا أرى هذا ولا ذاك ...

أيكون من المنطق أن أقتنع بما ليس له أى معنى فى داخلى ؟!

وفقط أقتنع بما ورثته تاريخياً عن الآباء والأجداد ، دونما إجابة لأى سؤال أو فهم لأى شئ أو إرضاء لأى منطق ... ؟!

ثم إننى وُلدتُ فوجدت نفسى ذا ديانة موروثة ، ولكن هناك ذوى ديانات أخرى ، أنا ورثتها وهم ورثوها ، وعلى كل منا أن يناضل ويكافح لإعلان وإظهار أن ديانته هى الحق وما عداها هو باطل ... كيف ؟! ... ومَنْ يقول لنا الحقيقة ؟!

العديد والعديد من علامات الاستفهام الإنسانية الحائرة ، والمئات من الأسئلة الثائرة ، ومحاولات الفهم المكبوتة ، لدى النفوس الإنسانية باختلاف هويتها الزمانية والمكانية والعقائدية ...

لذلك وللكثير والكثير غيره ... كان هذا الكتاب ...

هذا ... « وما توفيقى إلا بالله » ...

فإن كُنتُ قد أصبتُ فيما كتبت ... فقد وفقنى ربى ...

وإن كنتُ قد أخفقتُ ... فأسأل الله تعالى الهداية ، وأن يجعلنى ممن قال فيهم
" والذين جاهدوا فينا لنهدينَّهم سُبُلَنَا " ...

والحمد الله تعالى رب العالمين ...

أحمد أبو النور

● التأمل الأول ●

الحقيقة .. خارج بيت العنكبوت

لعل ما وصل إليه الإنسان فى كل مجالات العلوم ، إنما هو بمثابة نِتَاج تَراكُمِىّ لحصيلة البحث والتنقيب فى كل شئ أدركته وسائل الإدراك الإنسانى ، منذ الوهلة الأولى لوجود الإنسان الأول على الأرض ، وحتى يومنا هذا .

ولعل هذا النِتَاج التراكُمِىّ العِلمىّ ، هو أساس فَخرْ الإنسان المعاصر ، لما ملكته يداه من نظريات علمية ، واكتشافات معملية ، واستنساخ ، وتفسيرات فلكية ، ورحلات فضائية ، وهندسة وراثية ، وأقمار صناعية ، ومُفاعلات نووية ، وأسلحة إبادة شاملة ، وديانات وَضْعيّة ، وإمكانية أن تحمِلَ وتلِدَ العاقر ، وزراعة وحصد خضروات وفواكه الفصل الواحد طوال العام ، تصدير واستيراد الفكر والتكنولوچيا ... ميلاد عقول ، تدريب عقول ، هجرة عقول ، فلتحى العقول ...!!

... ولِتَعْمَلْ العقول ... ليس هناك وقت ... لتعْملْ أكثر وأكثر ...

ليس هناك وقت ...!

... صخب ... ضجيج ... سباقات محمومة ... زِحام ... تلوث ... حروب ... رقص ... بكاء ... أموال ... فقر ... إفلاس ... ضياع ... جوع ... غِناء ... موت ... طعام ... تشرُّد ... قصور ... مذابح ... تمليك ... إيجار ... تليفونات ... سيارات ... وُزراء ... حكومات ... مجتمع ... تطرُّف ... إرهاب ... مسيحى ... مسلم ... مدارس ... جرائد ... قتل ... زواج ... طلاق ... أكبر ... أصغر ... أغنى ... أجمل ... طعام ... شراب ... إجتماعات ...

... لتعملْ العقول ... لتعملْ أكثر وأكثر ... فالغد مجهول ... والخوف كبير ...! الكل ربط عقله فى ساقيته معصوب العينين ... وأخذ يدور ... ويدور ... ويدور ... فى مكانه ...!!!

... إنها الوثنية المعاصرة ... عبادة الإنسان لعقله ولهدفه ... !

... لماذا ؟ لأن العقل هو سبب ما يعيش فيه الإنسان ، والهدف هو ما يعيش له .

... ولأن الغد مجهول ، والهدف لم يتحقَّق بالقدر الكافى ... إذن لتعْملْ العقول .. لِتَدُرْ السواقى ..!

كَثُرَتْ السواقى ... ولكلٍّ منّا ساقيته ... و الكل يدور ... ويدور ... ويدور ... حول نفسه ... من أجل الغد المجهول ..! الخوف لصيق بالإنسان ، لدرجة أن أصبح هو ظلّ الإنسان . والخوف أوْفَى صديق لمن يحياه ... والكُلُّ له صديق ... فالكُلُّ يحياه ... الكُلُّ خائف ...!

الحقيقة غائبة ، لذلك فالخوف موجود ...!

هو خائف ... لماذا ؟ ... لا يعرف ... هى خائفة ... لماذا ؟ ... لا تعرف ... الكل خائف لماذا ؟ ... لا يعرفون ..!!! إنه ليس الخوف الشاكى مُرْتَفِع النبرة ، بل الخوف الصامت فى كوامن النفوس الخوف الذى تَعَمْلَقَ ، فصيَّر النفوس له تَوابعَ ...!

صاغ الخوف للنفوس أهدافها الجزئية والكُلِّية ، والكُلُّ يسعى لتحقيق الهدف والخوف يزيد . والهدف يبعد أكثر وأكثر ...!

صاغ الخوف لكل نفس بيت العنكبوت ، وحَبَك الخيوط ، والنفوس مستسلمة فى براثن خيوط العنكبوت ، ولم تُجِبْ إلاَّ أن تستسلم لتلك الخيوط ...! فتوحَّشَت الخيوط ، وأمْلَت كل الشروط . والنفوس والعقول فى السواقى تدور ... وتدور ... ثم تعود لخيوط العنكبوت ... فتجدها قد تَعَملقَت ، فتستسلم أكثر وأكثر ... وتظل تدور وتدور ... ولا تدرى ... أن أوهن البيوت هو بيت العنكبوت ...! فالإحتفاظ بالخوف يُثمر المزيد من الخوف فى غياب الحقيقة ...!

فما هى الحقيقة ؟

هي مالا نعرف ... وأهم ما يجب أن نعرف ... حتى نتحرَّر من الخوف الوهمى ...!

إن الحقيقة ... هى المجهول لنا ، وليس الغد بما يحمل ، والخوف بما يُثْقِل ... هى الحقيقة الغائبة ... لأننا لم نسأل ... أو لأننا سألنا ولم نستمع لإجابة ... أو لأن الإجابة كانت ... « إيه اللى انت بتفكَّر فيه ده ... ؟! » ... أو كانت الإجابة ... « إنت بتضيَّع تفكيرك عالفاضى ... » ... أو ... « يا أخى حرام ...» ...!!

إن الطريق للحقيقة مزروع بالعديد من علامات الاستفهام الإنسانية الحائرة التائهة ، والتى لن تهدأ حتى ترسو على شاطئ المعرفة ، إنتشالاً للنفس الإنسانية من السقوط فى المزيد من الخوف واللا ... « هَوِيَّة » ... واللا ... « هَدَفِيَّة » ...! الكلُّ يعيش ، الكلُّ يأكل ويشرب ، يتزوج ، يفرح ، يبكى ... الخ . اليوم يشابه الأمس ، وكلاهما قد يُشابه الغد ...!

كُنَّا أطفالا ... لعبنا ... تعلَّمنا ... كبرنا ... تزوَّجنا ... أنجبنا ... أولادنا أطفال ...يأكلون ... يلعبون ... يتعلمون ... يكبرون ... يتزوجون ... ينجبون ... آباؤهم يرحلون ... أولادهم الصغار ... يكبرون ... يتزوجون ... ينجبون ... هم يرحلون ... وتظل الدائرة تدور ... واليوم يصبح أمسا ... والغد يصبح اليوم ... وتمر السنون ... راحلون أبناء راحلين ... آباء راحلين ... أحفاد راحلين ... أجداد راحلين ...!

لماذا أتينا ؟ ... ولماذا نرحل ؟

لماذا خَلَقَناَ الله ... أنا ... أنت ... هو ... هى ... من كان ... من هو كائن الآن ... من سيكون ... كلُّنا ... لماذا خُلِقْنا ؟! ... ومَنْ نحن ؟! ومنْ أين أتينا ؟! وما هى بدايتنا ؟! ولماذا نحن ؟! وما هو مصيرنا بعد حياتنا الآن ؟! ولماذا أنا وجدتُ نفسى أنا ؟! لماذا لم أجد نفسى أنت مثلاً ؟! لماذا أنا موجود الآن ولم يتأخَّر مجيئى لعصر أخر ؟! أو لماذا لم أتواجد فى عصر مُبَكِّر عن الذى نعيشه الآن ؟!! لماذا هو مسيحى وأنا مُسلم ؟! لماذا هو رجل وهى امرأة ؟! هو غنى وأنا فقير ! أنا ابن فلان وهو ابن فلان ! أنا مصرى وهو يونانى ...!!!

العديد والعديد من لماذا ؟ وكيف ؟ وأين ؟ ومتى ؟ ... الخ . العديد والعديد من علامات الاستفهام . أسئلة جوهرية المضمون ، حائرة ومُلِحَّة . تجول بخواطرنا وخواطر من سبقونا ، وخواطر من سيأتون بعدنا . لكنَّه ... أشبه بحوار الطرف الواحد ..! وسرعان ما ينتهى حوار الطرف الواحد كما بدأ ..!

لأن الاجابة - وتقريباً دائماً - لا إجابة ...!

لماذا لا توجد إجابة ؟!

لأن السؤال تائهٌ فى الزحام ... فى الصَخَب ... فى السِّباق المحموم ...! وأنت غير مُصّرٍ على سؤالك ... ومَنْ يستمع إليك ... غير مُسْتَعدٌ للإجابة ... أو ... يعتبرك متفلسفاً تستهلك الوقت ... وهو ليس لديه وقت ... أو قد يسألك ... رداً على سؤالك وهل تعرف أنت ... ؟! دائماً مواقف هذه الأسئلة ... مواقف مُشَوَّشَة ... لا تحمل المعانى الصريحة الحاسمة ، التى تُرضِى لأنها تُساوى ...!

وحقيقة الحقائق أن هذه الأسئلة ، وما شابهها ، إنما هى الأساس المعْرفىّ ، والذى يجب أن نُدرِكَهُ جميعاً ، حتَّى ولو على سبيل ملامسة الحقائق بلطف . لأننا يجب أن نعرف ، حتى نتواجد بثِقَل فيما يجب أن نكون فيه . وحتى يُمكنُنا صياغة أهدافنا ، متى أمكننا قراءة حقيقتنا . وحتى لا نظل أسرى بيوت العنكبوت ...!

● التأمل الثانى ●

مَنْ هُـو الأَول ...؟!

الأوَّلُ ... هو ربنا الله تعالى ... وهو سبحانه ... الأول بلا ابتداء ... والآخر بلا انتهاء ... من الأزل إلى الأبد ... أو من « اللا ... أَيْنَ ... ومَتَى ... إلى « لا ... أَيْنَ ... ومَتَى .. » . وهو سبحانه ... " **الخالق** " الذى " **أعطى كل شئ خَلْقَه** " . وهو تعالى " **الذات** " الذى " **ليس كمثله شئ** " أىُّ شئ ... وكلُّ شئ ... يَرِد على أذهاننا ليس هو . فهو خالق عقولنا ... وتصوراتنا ... وخالق الأشياء ... ما نعلم وما لا نعلم ... ما نرى ... وما لا نرى ... ولكى نتصوره ... نحتاج أن نعرف أولاً ما لا نعرف من الأشياء ... ونُضيفُها لما نعرف من الأشياء ... ثم نُلقِى بها جميعها ...! ونبدأ لحظتها فى التصوُّر ... خارج كل الأشياء ... فهى به قامت وكانت ... ولذلك لا يُمكن أن تُشْبِهُهُ الأشياء ... ولذلك لا نحتاجها فى التصوُّر ..!

إذن ... فَلْنَصِف الله ... خارج حيز كل الأشياء ...! ولأننا لا نعرف غير ما علَّمنا هو عن الأشياء ... فالأسهل ... أن نصف بما نعرف ... ! إذن هو ... خارج حيِّز كل الأشياء ... هو ... ليس كمثل الأشياء ... أو ... هو مَنْ ... " **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** " ...

لكننا ... نعرف عن الله تعالى بعض الأسماء وبعض الصفات ... ومِنْ هذه الأسماء والصفات ... ما يُمكنِ أن يوصف به أحدٌ من خلقه ...!

مثلاً ... هو تعالى ... « الكريم » ... ومن الممكن أن يُوصف أحد الناس بأنه « كريم » ... هو تعالى ... « الصبور » ... ومن الممكن أن يوصف أحد الناس ... بأنه « صبور » ... كيف إذن يتَّفِق ذلك مع قاعدة ... « ليس كمثله شئ » ... ؟!

إن « ذات الله » ... هى مَنْ « ليس كمثله شئ » ، وهى مالا نعرف ... وهى خارج حيِّز الإدراك ... والتصوُّر ... فكل شئ مخلوق ... الحرف ... الكلمة ... الإسم ... الوصف ... الفعل كل الأشياء مخلوقة ... ولذلك ما تحويه الكلمات أو وصف الصفات ... ليس هو الله ...! فهو « ليس كمثله شئ » ...!

وما تحويه الكلمات والصفات والأسماء ... إنما هى أشياء ... استطاعت الحروف أن تُحدِّدها ... والله تعالى ... خارج حيِّز أنْ يتَحدَّد بما خلق ...!

ولكن الله تعالى عرَّفنا بما سمح أن نعرف ..! وكُلُّ ما عرفناه عنه ... مُجَرَّد ... « أفْعال » و« أحوال » صيغت بلغة البشر كى يمكنهم إدراكها .. ومِنْها اشْتُقَّتْ الأسماء ... ومنها اشْتُقتْ الصفات ... والفعل لا يُعبِّر لنا ولا يُفهِّمنا فهماً كاملاً شاملاً عن ..

« ذات الله » تعالى فالله تعالى قد « خَلَقَ » ... إذن ... فهو .. « الخالق » ... و « الخلاَّق » ... و « أحسن الخالقين » ، والله تعالى قد « صَوَّرَ » ... إذن فهو « أُلمصَوِّر » ... وهو تعالى قد « رَزَقَ » ... فهو الرازق ... وهو الرزَّاق ... الخ .

إذن فما سمح لنا الله بمعرفته ... هو ما نستطيع استيعابه عنه ...! أو ما يُمكن أن تستطيعَهُ الكلمات ... وتَفْهَمَه العقول ..! فقد أظهر لنا ... « فُيوضَات وإشراقات وتجلِّيات » أفعاله ... فَعَرِفْناَ عنه تلك الأفعال ... واشْتُقَت منها الأسماء ... ووصف الصفات .

إذن فـ « ذات الله » ليست هى تلك الأفعال ... ولا الأسماء ... ولا الصفات ...! إنَّما هى المتعالى على كل الأفعال والأسماء والصفات ... وهى مَنْ مَنَحَ الفعل والإسم والوصف ... إشراقة الإمداد .

إذن فما الأسماء والصفات التى نَظُن أننا نصف بها « ذات الله » تعالى ... ، ما هى إلا اشتقاقات من الأفعال ، وكذلك الأحوال ، فنحن نَصفُ أو نُسَمِّى فى حيِّز ما قال هو عن نفسه مثل « الأول » و « الآخر » ... ونحن أبعد ما نكون بها عن « ذات الله » تعالى ... والتى فقط لها أن تُوصف بأن « ليس كمثله شئ » . فالتعدُّد إذن الذى نلحظه ... هو تعدُّد راجع للأفعال الُمتَعَدِّدة ... ولِتَعدُّد الأفعال تعدَّدت الأسماء والصفات . إذن فالتعدُّد لا يعود على الذات . **فالله سبحانه وتعالى " ذات " كامل واحد .**

• التأمل الثالث •

مَـــنْ نَحْـــنُ ...؟!

لا تتعجَّبْ قبل أن تتأمَّل ...!!!

فنحن لسنا ظاهرة أرضية طارئة حدثت أو بدأت بميلادنا لأبٍ وأم !!

بل كلّ منّا عبارة عن ذات أو نفس كانت فى علم الله الأزلى ، وكُلُّنا هذه الذات أو تلك النفس . كل مَنْ كان ومَنْ هو كائن الآن ومن سيكون من الخلق وحتى النهاية .

أى أننا كُنّا تلك الذوات أو النفوس المستقرة فى علم الله تعالى والمتساوية فى كل شئ. ثم مررنا بمرحلة « التَحقُّق الأولّىّ » وهى مرحلة الخلق العادل للنفوس أو لتلك الذوات ، وبما يعنى تساويها فى كل شئ إقراراً لعدل الله تعالى . وهى مرحلة التحولُّ من علِم الله تعالى إلى حقائق فى **عالم السكون** أو « **ما قبل الحياة الأرضية** » والذى يتساوى مع ما نعتبره - والله تعالى أعلم - عالم عدم الوجود من منظورنا المعرفى الحِسىّ كأحياء الآن ...!!!

وعلَّمنا الله تعالى ، أى علَّم تلك الذوات أو النفوس كل شئ . علَّمها كل المعانى والمُمْكِنَات ... « **ونفسٍ وما سَوَّاها ، فألهمها فُجورَها وتقواها ..** » ...(الشمس : ٧)

فَتَشَكَّلتْ كل ذاتٍ أو نفس - بحُرِّية كاملة - كما أَحَبَّتْ أن تكون . وبالتالى اختارت كلُّ نفسٍ هويتها وجوهرها وملامحها واستقرَّت وقَنَعَتْ بما رَضَتْ ، وهذا من مقتضيات عدل الله المطلق سبحانه وتعالى .

فالنفس الشريرة لم يفرض عليه الله شرَّها ، والنفس الوَرِعة التقيَّة لم يفْرضْ عليها ورعها أو تقواها . ولكن بعد الوجود فى الثوب الإنسانى على الأرض ، كُلّ يعمل بما قد ارتضاه واختاره مُسَبَّقاً ... « **قُلْ كُلّ يعمل على شاكلته ..** » ....(الإسراء : ٨٤)

ولقد كان سيدنا آدم ﷺ هو أول ذات أو نفس أو حقيقة إنسانية تتحولّ من عالم السكون إلى عالم الوجود الأرضى . دخل آدم حيِّز التنفيذ الفعلى للخلق البشرى وأخذ فرصته فى أن يكون موجوداً على صورته البشرية النهائية فى عالم الموجودات المادية المحسوسة . حين مَنَّ الله تعالى على ذاته - أى على ذات آدم - أو نفسه بالجسد لتسكن فيه وتُؤَدِّى به ، وبنفخة الروح لكى تدب فيه الحياة .

لقد كان آدم أول ذات أو نفس إنسانية تتحقَّق تحقُّقاً كاملاً بعد أن أعطاه الله تعالى خَلْقَه . وبالتالى فقد تم تعيينه - إلهياً - أبا للبشر جميعهم .

وبعد وجـود آدم ظهر طور أو عـالم جديد بدأت تَنْتَمِي له النفوس أو الذوات وهو عالم « الذُرِّيَّة » فكل الخلق - البشر - بعد ذلك هم من ذُرِّيته .

إذن فقد بدأت النفوس - الكامنة فى عالم السكون - فى الإنتماء إلى عالم الذُرِّية ، وما يحمله من أنساب وألقاب وزمان ومكان للتواجد من خلال الميلاد المتعارف عليه لأبٍ وأمٍ .

وذلك من خلال مَنْح الله تعالى إمكانية الوجود لتلك النفوس طبقاً لما هي أهله . أى أن الله تعالى منح الوجود للنفوس بما يتناسب مع تَشكُّلها الحُرّ الذى سلكته هى سابقاً ، أى بعد أن أصبح لكل نفس شاكلتها . أى أن كل نفس تأخذ من الله تعالى هبة وجودها بما هى أهله وتستحقه . وذلك بمقاييس وهَّابيَّته وعدله وعلمه وإحاطته وحكمته ورزَّاقيَّته . وبما يتَّفِق مع مشيئته تعالى لتلك النفس وما هى له ، وإتماماً لعمارة الأرض بالتواجد الإنسانى المنضبط ، وطبقاً لمقاييس ومشيئة الله تعالى .

والله تعالى يُعامِل خلقه بُمطْلَقِ عدله . فحسابه اللاحق لهم إنما يستند إلى عطائه السابق لهم أيضا ، وما يتضمّنه هذا العطاء من حُرِّية الإرادة والسلوك والتشكُّل ... » **مَنْ عَمِلَ صالحاً فلِنَفْسِهِ ، ومَنْ أسَاءَ فعَلَيْها ، وما رَبُّكَ بظَلَّامٍ للعبيد** » .... (فُصلت : ٤٦)

إذن فمجُمل القول أننا لسنا مُجرَّد ظاهرة طارئة أو مُؤقَّتة ، إنسابت بنا من خلال حدث ميلادنا . ولكن كلٌّ منَّا عبارة نفس أو ذات أو حقيقة أزلية كانت فى علم الله تعالى . ثم مَرَّتْ كل النفوس بمرحلة الخَلْق العادل المساوى بينها جميعا فى كل شئ .وتحوَّلت بذلك إلى حقائق فى عالم السكون أو ما قبل الوجود الأرضى . ثم علَّمها الله تعالى كُلَّ المعانى والمُمْكنَات وبالتالى تشكَّلت تلك النفوس بُحرِّية تامة ثم بخلق آدم - عليه السلام - أصبح الجميع مُنتمياً إلى « عالم الذُرِّية » ، الذى نعيشه الآن ، وستعيشه البشرية إلى ما شاء الله تعالى .

وفى هذا يقول ربُّنا عَزَّ وجَلّ .. « **كيف تكفرون بالله وكُنْتُم أمْواتاً فأحياكُم ، ثُمَّ يُميتُكُم ثم يُحييكُم ثُمَّ إليه تُرجعون** ..» .... (البقرة : ٢٨)

وفى هذه الآية ذكر الله تعالى « موتتينْ » . والموت لا يجرى إلا على موجود . بمعنى لايُمكن إطلاق موت على ما هو غير موجود . فلكى أكونَ مَيِّتا إذن فأنا موجود لكن

لا حياة لى بالمعنى المتعارف عليه للحياة . ولذلك فالموتة الأولى المذكورة فى الآية إنّما تشير إلى مرحلة « النفس المُتَشَكِّلة » فى عالم السكون وفى عالم الذُرِّية والله تعالى أعلم . ولأنَّ الإماتة لا تكون للروح ، ولا للجسد الذى لم يتواجد بعد .

فالنفس هى حقيقة كُلٍّ منَّا ومجموعة خصائصه وطباعه وملامح ومَعَالِم هَوِيَّته . والجسد هو مجموعة الأدوات المساعدة على الأداء ، وإظهار تلك النفس لخصائصها . أما الروح فهى سِرُّ الحياة الممنوح من الله تعالى للجسد والنفس التى يحويها .

وعلى ذلك فالموت هو استرداد الله تعالى للنفس والروح أى لحقيقة الإنسان ولسبب حياته إذن فكون النفس والروح لدى الله تعالى ، فهو موت بالنسبة للإنسان .

ولذلك فقبل أن يأذن الله تعالى بنزول هذه النفس وقبل نفخة الروح ، فصاحبهما فى حالة موت بمعنى الموت المعروف لدينا .. ولأنه غير موجود بيننا فى عالم الأحياء الأرضيين .

وعلى ذلك وعودة للآية الكريمة ، فالموتة الأولى المذكورة بها - والله تعالى أعلم - هى حالة وجود النفس والروح لدى الله تعالى ، وقبل الإذن بنزولهما فى جسد إنسان والإحياء هو أن يهب الله تعالى للنفس جسداً ، وأن يهب للنفس والجسد روحاً . والإماتة الثانية المذكورة فى الآية هى مرحلة الموت التى تجرى على كل مخلوق على وجه الأرض . والإحياء التالى لها هو إحياء البعث من أجل الحساب .

الروح والنفس ليستا شيئاً واحداً ...!

... قد يتساءل البعض ... لماذا تَفْصِل بين الروح والنفس ؟ فهما شئ واحد ...!

والله تعالى أعلم أنهما ليستا شيئاً واحداً ، فالروح هى حياة للجسد أكثر منها للنفس وبمعنى أن الله تعالى خلق النفس ولها حياتها وكينونتها ووجودها وهى التى تحوى العقل والرغبات والأهداف والصواب والخطأ ... إلخ . ولكن وجود النفس فى الجسد وجوداً مُنفرداً لا يؤدى لأن يعمل الجسد . ولكن الروح هى التى تؤدى لتحُرك الجسد وعمله ، وفقا لما تُوجِّهُه إليه النفس من تعليمات . وفى هذا الخصوص يمكننا استعراض ما يلى تأكيداً لذلك ...

قال الله تعالى ... " **ونفسٍ وما سوَّاها ، فألهمها فجورها وتقواها ..** "

.... (الشمس : ٧)

ومعنى « سوَّاها » هنا ، أى أتَمَّ خلقها . ثم بعد تمام خلقها عَلَّمها الله تعالى كل المعانى والمُمْكنَات ... وعن خلق آدم يقول الله تعالى ... « **فإذا سَوَّيتُه ونَفَختُ فيه من رُوحى فَقَعُوا له ساجدين** » .... (الحجر : ٢٩)

... و « سوَّيتُه » هنا ، إنما تعنى إتمام الخَلْقِ نفساً وجسداً والفراغ منه ، وإن كان خلْقُ النفسِ سابقاً لخلق الجسد . ثم تأتى المرحلة الأخيرة وهى مرحلة نفخ الروح ، للوصول بالمخلوق إلى مرحلة الإنسان التى نحياها نحن الآن ... أى أن مرحلة « **نفخ الروح** » هى المرحلة الأخيرة بعد تمام الخلق ذاته نَفْساً وجسداً .

وفى ذلك أيضاً يقول الله تعالى ... « **وإذْ أخَذَ ربُّك مِنْ بنى آدم من ظهورهم ذُرِّيتَهم وأشهدهم على أنفُسِهم ألستُ بِرَبِّكُم ...** » ....(الأعراف : من ١٧٢)

معنى ذلك أننا قبل الجسد وقبل نفخة الروح ، كان لنا ذات ووجود وتشكُّل وعقل وإدراك ، ويُعْتَدُّ بما نقول ونحن فى عالم السكون أو عالم الذُّرِّية ، وقبل نُزولنا للأرض فى الجسد وقبل نفخة الروح . بدليل أن الله تعالى يعتبرها « شهادة منَّا على أنفُسنا » ، والشهادة لا تكون إلاَّ للمُدرِك ، وبدليل أن الله تعالى اعتدَّ بها ... حيث أن إكمال الحوار فى الآية ... « **قالوا بلى شَهِدنا ...** » . أى أننا كُنَّا وجوداً واعياً مُدْرِكاً فى حضرة الله تعالى .

وثمة شئ آخر يثبت اختلاف « النفس » عن « الروح » ، وهو أن الله تعالى قد أعلمنا أنه أجرى الخلقَ على النفس ... « ونفسٍ وما سوَّاها » ... لكنه أبداً لم يذكُر سبحانه وتعالى ذلك عن الروح . بل أنه تعالى جعل الروح من أسراره الربَّانية ، حيث يقول ... « **ويسألونك عن الروح قُل الروحُ مِنْ أمرِ ربى ، وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ...** » ....(الإسراء : ٨٥)

ولنُقَرِّب المعنى بمثال للإيضاح (مع الفارق طبعاً) ! ...

أنت تملك سيارة لتستخدمها فى ركوبك وانتقالاتك . السيارة هنا عبارة عن « جسد » مُعَدّ بعناية لإتمام المهام التى وُجِد من أجلها وهى الركوب والسير .

لكن السيارة لا تُوَجِّه نفسها بنفسها ولا تسير بمفردها ، وتحتاج إلى قائد . القائد هو أنت ، وأنت هو « النفس » المحمولة فى هذه السيارة أو فى هذا « الجسد » . هذه النفس هى « أنت » .. فهى التى لها إدراك وأهداف ومنطق وأسباب ... الخ .

والسيارة لن تتحرك بدون بنزين . والبنزين للسيارة هو « الروح » ومن الممكن أن تظل السيارة بما تحويه من بنزين دون حركة ، لأنك لم توجهها لوجهة معينة ، أو لأنك لم تَقُدْها ، أو لأن النفس لم ترغب شيئاً . فالسيارة هى « الجسد » والبنزين هو « الروح » وأنت هــى « النفس » التى تتحرك بالجسد الحى بنفخة الروح .

وببساطة شديدة ، فأنت بدون السيارة (بما فيها من بنزين) ، لن تستطيع أن تفعل ما تفعله فى وجود السيارة ببنزينها . أى وأنت فى مرحلة عدم وجود جسد وروح ، فأنت هو أنت ،ولكن بدون فِعْل إيجابى . وكما أن للسيارة متطلبات ... راحة ، تبريد ، زيوت ... الخ . كذلك لجسدك احتياجاته ...!

التَّشَكُّل أولاً ... أم ... أخيراً ... ؟!

قد يتبادر للذهن تساؤل ... لماذا لا نفترض أن تَعلُّم النفوس للمعانى والممكنات من الله تعالى إنما يتم لكل النفوس بعد ميلادها الدنيوى لأب وأم ؟! ... من خلال تَفَتُّح مداركها ومن خلال التعلُّم المُكتسب من الأسرة ... من المدرسة ... أو من الكيان الإجتماعى العام بكل تفصيلاته ... ؟!

إن مثل ذلك الإفتراض إنما **يتعارض مع « شهادتنا »** التى شهدنا بها لربنا ، ويتعارض أيضاً مع قبول الله تعالى لهذه الشهادة واعتداده بها ... الأمر الذى ذكرناه منذ قليل ... « **وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذُرِّيَّتَهم وأشهدهم على أنفسهم ألستُ بِرَبِّكم ، قالوا بلى شهدنا ، أن تقولوا يوم القيامة إنَّا كُنَّا عن هذا غافلين** ».

.... (الأعراف : ١٧٢)

وأنظر أيضاً للتحذير الإلهى لنا . « **أن تقولوا يوم القيامة إنّا كُنَّا عن هذا غافلين** » ... أى لا تَتَذَرَّعُوا بالحُجج يوم القيامة ... أن هذا الأمر لم يكن معلوماً لديكم ...

إنه إذاً حوار فى حضرة ربنا الله تعالى ، ولابد لمثل هذا الحوار أن يُتِمَّه الله تعالى مع موجودات عاقلة مُدْرِكة مُمَيِّزَة . إذ لابد قبل السؤال أن تتوافر مبدئياً هذه الموجودات وجوداً ... أى لابد لهذه النفوس أن تكون موجودة مبدئياً وقبل إتمام هذه الحوار . ويلزم أيضاً أن تكون ذات قدرة استيعابية وإدراكية وتمييزية ، وهو ما لا يمكن توافره بغير التعلُّم الذى أتاحه الله تعالى لها . إذ حتى تستطيع مثل هذه النفوس أن تُقرّ بهذه الشهادة ... - ولو عدُنا لنص الآية - ... « **ألستُ بِرَبِّكم** » ... « **بلى شهدنا** » ... « **أن تقولوا يوم القيامة إنا كُنَّا عن هذا غافلين** » ...

فلابد بديهياً أن تكون هذه النفوس عالمة بالمعانى التى تُقرُّ فيها بشهادتها . مثلاً ... هى تعلم المعنى والفرق بين الخالق والمخلوق ... وتدرك جيداً معنى الربوبية وتدرك معنى الإقرار بالشهادة ... وتدرك معنى يوم القيامة ... وتُدرك معنى ادعاء الغفلة وعدم المعرفة ومن المؤكد أن مَنْ يُدْرِكُ تلك المعانى ، إنما لا يُدركها مُنْفَرِدة ... إنما هى بعضٌ من كُلٍّ بل هى أخطر الكل ... وبيت القصيد ...!

وهذا يُؤكِّد - والله تعالى أعلم - ما ذهبنا إليه من أن الله تعالى بعدما خلق النفوس المتساوية تماماً فى كل شئ علَّمها كُلَّ المعانى والمُمْكِنات وبالتالى تشكَّلت هذه النفوس بُحرِّية تامة لا ضغط فيها ولا إجبار .

لأن مفردات ومَعَانى الحوار السابق ، إنما تعنى أن مَنْ يُدْلِى بشهادته أمام الله هو عاقل مُدْرِك عَالِم . والله تعالى يُقرُّ ذلك بقوله « **وأشهدهم على أنفسهم** » ... إذن فالأنفس شاهدة على ذواتها ... أو شاهدة بنفسها على نفسها ... **قالوا** ... « **بلى شَهِدنا** » ... ولطالما سمح الله تعالى بهذا الموقف ، إذن فهو بمثابة شهادة من ربِّنا تعالى ، بأننا فى موقف مَعْرِفىّ يسمح لنا بإتمام الموقف من أساسه ... « **ونفس وما سوَّاها فألهمها فجورها وتقواها** » ...

وهو تأكيد ذو ارتباط بتأكيد آخر وهو « **كيف تكفرون بالله وكُنتم أمواتاً فأحياكم ثم يُميتكم ثم يُحييكم ثم إليه تُرجَعُون** » .

وقد قلنا أن « **وكُنتم أمواتاً فأحياكم** » ... إنما تُشير إلى جريان الموت على موجود وليس على معدوم . وليس شرط الموجود أن يكون موجوداً على سطح الكرة الأرضية ...

لكنَّه وجود يرتبط كُليّاً وجزئياً بحالة الموجود ذاتها . وبما يعنى وجوداً مناسباً لحالة النفوس المتشكلة والتى مازالت فى طور الذُرِّية ، والتى لم تحصل على « الإحياء » أوْ هِبَةَ الوجود الإنسانى النهائى من خلال حصولها على جسد وروح وزمان ومكان ميلاد . ورأينا أن الموت المذكور فى « **ثم يميتكُم ثم يُحييكم** » إنما تشير إلى عملية الموت التى تجرى على كل إنسان على وجه الأرض ، والإحياء التالى لها إنما هو البعث من أجل الحساب .

ولعل هذا الإتساق بين « الموتتين » و « الإحياءين » يحمل منطقية ووحدة واتساق الفكر .

حيث أن بعض الفقهاء قد ذكروا أن « وكُنتم أمواتاً فأحياكم » ... إنما تعنى هُدى الإيمان بعد الضلال ، باعتبار أن الضال البعيد عن الهدى الإيمانى مُشَبَّه « بالميِّت » ، وإحياؤه هو احياؤه إيمانياً ... أى بنفس معنى « ووجدك ضالاً فهدى » ، ولكنى فى هذا

الخصـوص أرى أن منطقيـة ووحدة واتسـاق المعنى والفكر إنما أولى بنا أن نذهب معهـا إلى ما ذهبنا . وهو تجانُس نوعى « الإماتة » ونوعى « الإحياء » ، فى الآية . بمعنى « إحياءان » على موجودات ، و « إماتاتان » على موجودات أيضاً .

ولعل المزيد من التـأكيـد ... فى النقـاش الأسـاسى الدائر ، إنما يُسَبِّب إثراءً فكرياً لموضوع النقاش ...

يقول الله تعـالى « **إنّا عَـرَضْنا الأمَـانَة على السـمـاوات والأرض والجبـال فـأبَيْنَ أن يَحْمِلْنَها وأشْفَقْنَ منها وحملها الإنسان ...** » .... (الأحزاب : ٧٢)

إذن ... فـأنت أمام مـوقف يمكنك فـيـه تخيُّل الموجودات التـاليـة ... السمـاوات ... الأرض ... الجبال ... الإنسان ... كل هذه موجودات فى هذا الموقف ... ويخبرنا الله تعالى أنه عرض حَمْل أمَانَة التكليف بفرائضه ووصاياه ... على السماوات والأرض والجبال ... فأبين أن يحملنها ... ليس عصياناً ولكن خوفاً من التفريط ... وأشفقن منها ... وحملها الإنسان ... طبعاً بعد عرضها عليه ...

إذن ... وقبل كل شئ ... وقبل أى شئ ... فالإنسان ... كان موجوداً ... ولـه كـيـان عـاقل واعٍ مُدْرِك مُمَيِّز عالِم ... ولكـن ما هو شكل أو نوع هذا الوجود ... ؟!

هو ... مرحلة النفس المتشكِّلة ... فى عـالم السكون ... بعد أن علَّمنا الله تعالى كل المعانى والـمُمْكِنَان ... تشكَّلت كل نفس كما أحبت أن تكون ... وأصبـح لديهـا القـدرة - وهى فى هذا الطور من الوجـودات الُمـتـاحـة - أن تُفكِّر ... وترغب ... وتتـمَّنى ... وتستوعب ... وتقبل ... وترفض ... وتشهد ... الخ ...

وبما يعنى المزيد من التأكيد ... على كوننا كُنَّا وجوداً عاقلاً مُعْتَرَفَاً به من الله تعالى ... فى أكثر من موقف ... وهذه أكبر شهادة لحقيقة ما كُنَّا عليه ... قبل حدث ميلادنا لأب وأم ... وقبل التقيُّد بالزمان والمكان ... شهادة لحقيقة وجودنا الواعى المدرك المميِّز المخيَّر الُمكرَّم ... والشاهد هو ربنا الله تعالى ... وكفى بالله شهيداً ...

هذا وإن كـان بعض الفقـهـاء يذهبـون لتفـسـير ... « **وَحَمَلَهَـا الإنسـان** » ... بأنـهـا عُرِضَتْ على آدم منفرداً ، فوافق على حملها ...!

وأعتقد يقينا ... أن مُطلق عدل ورحمة ربنا الله تعالى ... أنه لا يُحمِّل الإنسانية كلها

عبء التكليف بناءً على موافقة إنسان واحد . وليس أقل من أن نقف جميعاً فى حضرة ربنا تعالى ... كموقف ... « ألست بربكم » ... « قالوا بلى شهدنا » ... فنحن هنا نقارن موقفنا مع ربنا ... بموقفنا مع ربنا ... حيث أن موقف " **حمل الأمانة** " ... أيضاً هو موقف مَصيرىّ ... مثل موقف " **الشهادة** " ... الأمر الذى يحتاج لكل الناس وليس لآدم فقط ...!

وتأكيداً على حقيقة خلق الأنفس ووجودها فعلاً حتى قبل إخراج آدم إلى حيِّز الوجود الإنسانى ... وحصوله على هبة الوجود النهائية يقول ربنا تعالى ....

" **ولقد خلقناكم ثم صوَّرناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ..** "

.... (الأعراف : من ١١)

لاحظ أن هذا الخبر الذى يُحَدِّثُنا عنه الله تعالى ، إنما تم فى حضرته وقبل إخراج آدم إلى حيزه النهائى ككائن إنسانى نهائى ...حيث يخبرنا - تعالى أنه خلقنا ..« ولقد خلقناكم » فَتُرى ما هى طبيعة الخلق قبل الجسد ونفخة الروح ... سوى خلق النفس ...؟! « ثم صوَّرناكم » ... أى جعلنا لكم هيئة وشكلاً وصورة ... فما الذى يقع عليه « التصوير » هنا ؟!

هل يَقَع على النفس ؟ أى هل للنفس صورة وهيئة وشكل ؟!

عِلْمُ هذا عند ربى تعالى ... ولربما مثلما وقعت على النفس « سَّواها » وعلى الجسد « سوَّيتُهُ » لربما أيضاً مثلما يقع « التصوير » على « الجسد » كذلك يقع على « النفس » ... لربما فعلاً يكون للنفس ملامح وشكل وهيئة مُميِّزة ، تختلف بها كل نفس عن الأخرى ، كما تختلف كل نفس فى جوهرها وتَشَكُّلها ، وكما يختلف كل جسد عن الآخر .

وكما أشرنا فإن شهادتنا السابقة فى حضرة ربنا تعالى لا تستوعب إلا موجودات عاقلة واعية ناضجة عالمة عارفة ويُعتدُّ لها بما تقول ...

وغير مقبول تفسير أن الله تعالى يقصد بـ « خلقناكم » ثم « صوَّرناكم » هو خلق آدم ، ولطالما نحن أبناء آدم - إذن - فكأنما خُلقنا جميعاً ... وصُوِّرنا جميعاً ... بآدم ... لا ... أعتقده تفسير غير منطقى ... لأنه لو كان - تعالى - يقصد آدم بـ « خلقناكم » و « صورناكم » لقال « ولقد خلقناه آدم ثم صورناه ... » لكنه تعالى قال «خلقناكم» « ثم صوَّرناكم » إذن فالكل خُلقِ وصُوِّر فى هذه المرحلة ومعهم آدم « ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم » ... أى أنه تعالى يشير هنا إجمالا لما سبق وأوضحه تفصيلاً فى آيات أخرى ...

وكأنَّ المقصود هنا ... أنه تم انتقاء آدم منفرداً فى هذا الموقف وبعد أن أخذ من الله تعالى هبة وجوده جسداً ونفخة روح كان أمر السجود . وأيضاً لو ذهب البعض - كما أشرنا إلى أن « خلقناكم » و « صورناكم » تعنى خلْقنا وتصويرنا فى آدم بعد أن تم خلقه وتصويره ، نرُدُّ على ذلك بأنه لو كان الأمر كذلك لقال الله ... « ثم قلنا للملائكة أن يسجدوا لكم » أو « اسجدوا لهم » ... لكنه تعالى يقول « اسجدوا لآدم » ... إذن فنحن خارج حيِّز آدم تماماً حين أمر السجود ...

إذن فـ « خلقناكم » و « وصوَّرناكم » إنما تعنى الجميع قبل الجسد والروح ... وخارج حيِّز آدم المسجود له بأمر الله تعالى من الملائكة . فهى مرحلة ما قبل إخراج آدم نفساً وروحاً وجسداً ككيان إنسانى تام ... وهى المرحلة التى كان فيها أيضاً آدم فى طور السكون كنفس مُتَشكِّلة ...

تلك النفس التى شهدت بربوبية الله تعالى علماً ومعرفة وإدراكاً ... وعُرِضَتْ عليها الأمانة وعلمت ما الأمانة ووافقت على حملها ، لابد وأن تعلم وتعرف حتى تُسألَ وتشهد وتقبل ... الخ .

وهل يُشهِد الله تعالى على ربوبيَّته " غير الموجود " و " غير المخلوق " ؟!

وكيف يكون وجود " غير الموجود " " وغير المخلوق " ؟!

وكيف له أن يتواجد ويعلم ويشهد ويُحذِّره الله تعالى ... ؟!

لا .. فلابد من وجود " موجود " " مخلوق " تم تعليمه وتعريفه قبل إجراء أية حوارات على هذا المستوى معه ...!

كان هذا النقاش بمناسبة التساؤل الخاص ... باحتمالية أن تعلُّم النفوس لمختلف المعانى والمُمْكنَات قد يكون خلال حياتها الأرضية وليس قبل نزولها . وعلى اعتبار إمكانية الإكتساب والتعلُّم من خلال الكيانات الإجتماعية المختلفة بكل مفرداتها . ولكن يلزمنا أن نُفَرِّق بين نوعين من « التعلُّم » فى هذا الخصوص ، النوع الأول من التعلُّم وهو الذى أشرنا إليه فى طور النفوس المُتشكِّلة . أما النوع الثانى وهو « تعلُّم » الخبرات والعلوم والمِهَن والعادات والتقاليد ... الخ . إنما هو « تعلم بيئىّ » يرتبط بالمناخ العام - المجتمع - الذى يتواجد فيه الفرد . وأيضاً ارتباطاً بمناخه الأسَرِىّ الخاص . وتذكَّر ... " **قل كُلٌّ يعمل على شاكلته** " ...

... لئن فحصتها جيداً ... مع نوعى المعرفة السابقين ، لوجدت أن « النوع الثانى من التعلّم » لا يطغىَ ولا يُسَيِّر « النوع الأول من التعلُم » ... وهو « الشاكلة » . فالنوع الأول « الشاكلة » هو المهيمن وواضع الخُطط والأهداف ... فهو حقيقة وكيان الشخص نفسه . أما النوع الثانى ، فهو « الأداة والقيود » فى ذات الوقت . فهو « أداة » التنفيذ والإخراج السلوكى النهائى من خلال مِهنةٍ ما أو .. علمٍ ما ... أو زواجٍ ما ... ، وهو فى ذات الوقت « القيود » ... من خلال العادات والتقاليد والأعراف والقوانين ... والإمكانات المتاحة ... إلخ .

أى أن « الملامح الذاتية للنفس » أو « الشاكلة » إنما تُوجِّه مسار صاحبها لتحقيق وإعلاء ذاتيتها ... ارتباطاً بالأدوات والقيود المُتولِّدة عن المناخ البيئى والإجتماعى الخاص والعام المحيط بالشخص .

إذن فالصفات الحاكمة أو المُهيْمِنَة هى « صفات النفس المتشكِّلة » ، والتى تُمارس فى ظل كافة ما هو قائم حولها ومرتبط بها كأدواتٍ وقيود ، وبدرجة تجاوب أو مُرونة مُعيَّنة ، حتى تستطيع أن تُحقِّق أهداف ذاتها دون احتكاك بهذه القيود أو تصادم معها . وهذه هى صفات الأداء الهادئ . ولكن قد يكون أسلوب الأداء « تَصَادُمِىّ » ... أى عكس النمط الهادئ ، وقد يكون أسلوب الأداء مُتوازناً ... فلا هو بالأداء الهادئ ، ولا هو بالأداء التصادُمِىّ ... وبمعنى تواجد ثلاثة أنماط رئيسية من منظور الأداءات السلوكية الإنسانية ، وكناتج نهائى لتفاعل « شاكلةِ » كل شخص مع كل ما هو محيط به من أدوات مُساعدة وقيود خاصة وعامة .

إذن فهناك درجة ارتباط تختلف قيمتها بين " الشاكلة " وبين " المناخ الكلى المحيط " بكل ما فيه .

وطبقاً لقيمة وقوة الإرتباط بين « شاكلة الفرد » و « المناخ الكلى المحيط » ينشأ ما يمكن تسميته بـ « درجة التوافق » ، أو « درجة النفور » ، بين الفرد ذى الشاكلة وبين المناخ المحيط به (الأسرة والمجتمع) .

فالفرد « ذو الشاكلة » المرتبطة « بمجتمعه الصغير والكبير » ارتباطاً موجباً ... ستجد أن أسرته والمجتمع يتمشّيان مع شاكلته ، ولا يعوقانها . وبالتالى ستجده على « درجة توافق » كبيرة جداً مع معظم ما حوله ... ولذلك تجد أداءه هادئاً ... مُنْسَاباً فى نفس اتجاه ما حوله ..!

وعكسه تماماً « ذو الشاكلة » المرتبطة « بما حوله » ارتباطاً سـالباً ... ستجد أن ما حوله يُمثِّل عائقاً صلداً أمام انطلاقات « شاكلة نفسه » . وكأنه يسير بنفسه عكس ما هو حوله . لذلك ستجده على « درجة نفور » كبيرة مع كل ما حوله . ولذلك تجد أداءه من النـوع « التصادُمِيّ » ... وكـأنه يسير فـي عكس اتجاه كل شئ !!

ويقع بينهما « ذو الشاكلة المتوازنة » ... والذى تجده على توافق معقول مع بعض ممّا حوله وعلى درجة نفور عادية مع بعضها الآخر ... ولذلك فهو يحتفظ لنفسه باتزانها . ولعل هذا النمط من الناس هو أَصَحُّهُم نفسياً ... إذ أن التوازن أفضل من التطرُّف فى النمطين الأول والثانى .

فالأول الذى هو وكل ما حوله يسيران فى اتجاه واحد ، لن تجد له ملامح شخصية مُحدَّدة أو مقروءة ...! ... فهو شخص تائه فى الملامح العامة التى حوله وليست له ملامح خاصة ...!

والشخص الثانى ... الذى يسير – على طول الخط – فى الاتجاه العكسى مع كل ما حوله هو شخص متمرِّد ... رافِض ... وقد يكون على حق ... وقد لا يكون ... وقد يكون فقط معه بعض الحق ...! ... ومثل هذا مِن السهل تحديد ملامح شخصيته ...!

أما ذو الشاكلة المتوازنة فهو شخص عادى ... يُحْسَد على ما هو فيه ...!

النفس المتشكِّلة ... والطفل ...!

... قد يسأل أحدُنا ... عمّا هو بعد لحظة الميلاد ...

فأى طفل مولود ... إنما يكون مُنْعَدِم الإدراك العاقل الناضج ... من منظور الإدراك والنضج الإنسانى ... فكيف لهذه النفس الناضجة التى مرت بما سبق أن ذكرناه ... من تَشَكُّل ... ومواقف غير عادية ... مثل موقفى ... « الشهادة » ... و « حمل الأمانة » كيف لهذه النفس أن تنزوى داخل هذا الطفل الرضيع ...؟!

ولماذا هى صامتة غير عاملة .. أو ناطقة ... أو مُؤدِّية لأى شئ يُثْبت وجودها داخل هذا الطـفل أو حـتى ... تلفت النـظر .. بأى شـكل ... إلى أنها بالفعل موجودة ..؟!

إن « النفس » من المُنْتَميَات لعالم اللامادِّيات ... مثل « الروح » ... تماماً . وإن كُنَّا لا نستطيع ... تحديد جوهر أَيٍّ منهما ... فعلْمُهما لله تعالى ... وإن كانت « روح » الطفل الصغيرَ ... مِمَّا لا يَدَعُ مجالاً للشك ... هى موجودةٌ فيه ، وهو طفل ... وهو شاب

... وهو ... كـهل ... ولانسـتطيع إمسـاكـهـا أو تحديد مـكان لوجـودها مع الخـصـائص التشريحية للجسم البشرى ... وحتى مع فقد أى إنـــسان لأحـد أعضاء جسمه ... الروح ... مازالت موجودة ... ولم يُبْتَرْ جُزْءٌ منها ...! إذن فالروح ملازمة للإنسان كما رأينا ... وكذلك النفس ...

فالروح ... وإن كانت مُلازمة للإنسان لاستمرارية حياته ... فالنفس أيضاً ملازمة للإنسان لاستمرارية حقيقته . لأن النفس هى حقيقة صاحب الجسد والروح ... وهى مَعَالِمُهُ التى يمكنك أن تصــفـه بهـا ... من مـختلـف النـواحى ... وكُتلة طموحاته وأهدافه وإرادته ... إلخ . وبدخول الروح والنفس لعالم الجسد ... حَكَمَهُما قانونُ الجسد ... كما خلقه الله تعالى . فالروح تتعامل مع كل أجزاء وأعضاء الجسم من البداية للنهاية .. وحتى وفاة الشــخص . والنفس كذلك .. حَكَمَها قانون الجسد كما أراد الله تعالى له ولها .

فالجسد يبدأ ... وينمو ... ويكبر ... ويَشُبُّ ... وينضج ... ويشيخ ... ويهرم ... والنفسُ متزامِنة معه ... مرحلة بمرحلة ... وكأنها إنسان لا مادىّ داخل كل منا كلما نضُج الإنسان المادى .. صاحبته النفس أيضاً فى النضج ، أو فى استرجاع ذاكرة النُّضج السابق والذى كانت عليه ...!

وعودة مرة أخرى ... لنقطة « النفس المتشكِّلة الناضجة » ... والتى تحملُ كَمّاً مْعرفياً هائلاً - مّا علمها الله تعالى - وكذلك ... دلالة نُضجها والمتمثِّلة فى بَعْض من تلك المواقف التى سبق الحديث عنها مثل موقفى « الشهادة » ... و ... « حمل الأمانة » ... فمثل هذه المواقف لا يكون أهلاً لها سوى الناضجين بكل المقاييس ... وذلك حقيقة ... حيث لا مجال فيها للأطفال مثلاً ...!

إذن وأنت فى مرحلة النضج النفسى هذه ... يمكُنك أن تُدرك ... وتعقل كأفضل ما يكون الإدراك والعقل ... بدليل ما وُضِعْت فيه أمام الله من مواقف ذات قيمة عظيمة ... واعتدٌ بها الله . إذن وأنت فى مثل هذه المرحلة ... من النضج النفسى ، تكون هى حَدُّك الأقصى الذى يُمكن أن تصل إليه ... وقد بلغته ... قبل وجودك على الأرض ... ولكن ماذا بعد وجودك على الأرض ...؟! ... وبعد أن حَكَم قانون الجسد نفسك ؟!

إن حُكم قانون الجسد للنفس ... إنما يعطيها فرصة النضوج من نقطة الصِفْر وكتدرُّج تَصَاعُدِىّ مَنْطقىّ فى عالمنا الإنسانى - مروراً بالسنين - أو يُعطى للنضوج فرصته لاستعادة ذاكرته تدريجياً . وقد تصل بنفسك لأقصى مرحلة نُضج ... وقد لا تصل أثناء حياتك ...!

والمقصود بأقصى مرحلة نضج فى حياتك الأرضية ... هى وصولك لنفس مرحلة نضجك النفسى ... قبل نزولك للأرض ... والتى كُنتَ عليها ... وبوصولك لها تكون قد وصلت - والله تعالى أعلم - لأقصى ما يمكن أن تبلغه فى مراحل نضوجك النفسى ... والتى غالباً ... وعند مُعظم المعتدلين تجدها تتراوح حول سن الأربعين ... صعوداً أو هبوطاً عنها ... بقليل . ولربما أن هذا هو السبب - والله تعالى أعلم - لكون مُعظم الأنبياء الذين نعرفهم ... بدأوا رسالاتهم ... فى هذه السن ... تقريباً .

وأعتقد أن مَنْ تفضَّل الله تعالى عليه ... بهذه النعمة ... وهى وصوله لقمَّة مُنحنى نضوجه النفسى ... تزامناً طبيعياً مع سنوات عمره ونضوجه السِّنِّى ... أعتقده ... سيكون مِنْ أكثر الناس إعمالاً للمنطق والفِكْر ... والسعى للحقائق ... لأنه قد بلغ على الأرض ... نفس مستوى نضوجه النفسى ... الذى كان عليه ... وهو فى حضرة ربِّه الله تعالى ...

ولكن ... بشروط ...!

أولاً .. أن تسعى ... لتذكُّر ... ما كُنْتَ فيه قبل مجيئك للأرض ...!

وثانياً ... أن لا يتحالف جسدك ونفسك ... للأرضيات دون السمائيات ...!

ولعله ارتباطٌ بما سبق ... من ناحية ... ، ومن ناحية أخرى لاستمرارية وجودك داخل لجنة الإمتحان ... على الأرض ...!

لعل ذلك من دواعى تآكل ذاكرتك بالنسيان ... فيما يتعلق بكل ما حدث قبل نزولك على الأرض ... وإلاَّ لو تذكَّرت كل شئ ... لانتهى اختبارك ... ولا داعى إذن من استمراريته ... لأنك لحظتها ستكون قد تحولَّت إلى مثل الملائكة العارفين ... والذين هُم خارج لجان الإمتحان ...!

فعليك إذاً بالسعى ... للنُّضْج والتذكُّر ...!

فمثلك ... مثل مَنْ استعد للامتحان فى منزله .. قراءةً ... وكتابةً ... واستذكاراً ... ومُراجعةً ... ومع تغير الجو العام المحيط به من جو المنزل المُكيَّف الهادئ ... إلى جو التوتُّر المشحون بانفعالات مُسمَّى « امتحان » تجد أن مثل هذا الشخص لربما فَقَدَ نصف ما فى خزينة ذاكرته إن لم يكن أكثر ...!

ولعله ارتباط بما سبق ... من ناحية ... ، ومن ناحية أخرى لاستمرارية وجودك داخل لجنة الإمتحان ... على الأرض ...! لعل ذلك من دواعى تآكُل ذاكِرتك بالنسيان ... فيما يتعلق بكل ما حدث قبل نزولك على الأرض ...

وإلا لو تذكَّرت كل شئ ... لانتهى اختبارك ... ولا داعى إذن من استمراريته ... لأنك لحظتها ستكون قد تحوَّلت إلى مثل الملائكة العارفين ... والذين هُم خارج لجان الامتحان ...! فعليك إذاً بالسعى ... للنُّضْج والتذكُّر ...!

فمثلك ... مثل مَنْ استعد للإمتحان فى منزله ... قراءةً ... وكتابة ... واستذكاراً ... ومُراجعةً ... ومع تغير الجو العام المحيط به من جو المنزل المُكيَّف الهادىء ... إلى جو التوتُّر المشحون بانفعالات مُسمًّى « إمتحان » تجد أن مثل هذا الشخص لربما فقد نصف ما فى خزينة ذاكرته إن لم يكن أكثر ...!

والفرق الزمنى بين الموقفين ... قد يكون ساعات قليلة ...

فما بالك ... لو كان الفارق سنوات عديدة وبعيدة ... ولا يعلم عددها إلا الله تعالى ...؟!!

وما بالك باختلاف « مناخ المذاكرة والمراجعة أيام كُنْتَ نفساً فى حضرة ربِّك » ... مع « مناخ الامتحان .. على الأرض » ...

أو لا ترى معى ... أنه من المنطقى ... للعديد من الأسباب أن تنسى ...!

ولكن إن نسيت ما كُنْتَ فيه صوتاً وصورةً ... فعليك أن تتذكَّر بالتذوُّق النفسى ...!

نعم ... تذكَّرْ ... تَذَوُّقاً ...!

وتأمَّل نفسك ... وما حولك ... وما فوقك ... وما تحتك ... وستجد الإشارات التذكيرية الهائلة ... والتى تأخذك إلى ما يجب عليك تذكُّره ...!

الموت والنوم والإغماء

الموت هو حالة استرداد الله سبحانه وتعالى للنفس والروح معاً بدليل توقف الجسد تماماً عن العمل ... أما النوم أو الإغماء ، ولطالما أن الجسد حى ... بدليل ... أن كل العمليات العضوية الجسدية تتم ... تنفس ... هضم ... نبض ... الخ . إذن فالروح موجودة به . ولكن استغراق الإنسان فى النوم أو الإغماء هى عملية غياب مؤقت للنَّفْس ، والله تعالى أعلم . بدليل أنه فى هذه المرحلة ... ليس هناك أهداف ... أو أداءات فكرية ... أو وعى ... أو إدراك ... أى أن النفس - تذكَّر مثال السيارة - تكون فى مرحلة عدم القدرة على أداء أى فعل إيجابى ، لعدم وجود أدواتها ... الجسد ... والروح .

وفى ذلك يقول الله تعالى ...

... **« الله يتوفى الأنفُسَ حينَ مَوْتها والتى لم تَمُتْ فى مَنَامها ، فيمْسِك التى قَضَى عليها الموتَ ويُرْسِلُ الأخرى إلى أجَلٍ مُسَمًّى ...»** .... (الزمر : ٤٢)

أى أنه سبحانه وتعالى يقبض أو يأخذ أنفس مَنْ يموتون ولطالما قد حان أجلهم . وكذلك فهو يقبض أو يأخذ أنفُسَ الأحياء عند نومهم ... فتظل بمشيئته أنفس الأموات عنده ويَرُدّ للأحياء النائمين أنفُسَهم ولطالما لم يأتِ أجلهم بعد .

الإنسان (الكائن المتمَرِّد) يجهل حقيقته !!

الإنسان ذلك الكائن العجيب الذى يحمل أطناناً من أسرار الله تعالى ، دائماً يبحث خارج نفسه ولا يبحث فيها . يسير بها ويجوب بها الأرض ، باحثاً فى كل شئ عن كل شئ إلا عن حقيقة وجوده وسببها . ولذلك نجد أن معظم الناس إنما يتحدّثون عن أحدث ما ابتكره العقل ، وإفضل ما يمكن شراؤه وأفضل ما يمكن استهلاك الوقت فيه .. وأفضل سيارة ... وأفضل فستان وأفضل مصيف فى أجمل شاطئ ... وأفضل شريط ... وأفضل مُغَنٍّ ... وأفضل فريق ... وأفضل مدرسة ... وأفضل مطعم ... وأفضل وأفضل وأرخص وأغلى وأكبر وأصغر وأهدأ وأبعد وأقرب وأفقر وأغنى .....!

إن الإنسان بهذا الكيف من السلوك إنما يحيا لاهياً عابثاً حتى وإن كان ذا درجة جودة أخلاقية ..! لأنه يحيا لنفسه ومن أجلها لاغياً صِغَره بل حقيقة ضآلته إذا ما نُسِبَ للكون من حوله . وكأنما هو موجود من أجل ما هو فيه . ويحاول طيلة بقائه حياً أن يكون أعظم من أى شئ ... أكبر من أى شئ ... أغنى من كل الناس ... الخ . وهو لا يدرى أنه بما يسعى له كهدف أو كغاية نهائية إنما ستجعله أصغر من أى شئ وأقل من أى شئ وأفقر الناس وإن مَلَكَ ما مَلَكَ ...! ... ولكل هذا ولكل هذه ... لا تغيبَنَّ عنكم الحقيقة وهى ... **«إنَّك لن تَخْرِقَ الأرض ولَنْ تبلُغَ الجبالَ طُولا»**................(الاسراء ٣٧)

..... الإنسان هذا الكائن المُدلَّل من ربه ما أشقاه بنفسه ...! وما أتعسه بها ...!!

....

....

● التأمل الرابع ●

لماذا خَلَقَنَا الله ؟!

(سبحانه وتعالى)

تبارك الله الخالق الذى « أعطى كُلَّ شئٍ خَلْقه » ، فأبدع وصَوَّر . وصاغ الكون بما فيه جمالاً وجوهراً وتناغما لا مجال فيه لزيادة أو نقص . فتبارك الله أحسنُ الخالقين . خلق ما يُرىَ وما لا يُرى ... ما تراه عيوننا وماً لا تراه ... ونَصَّبَ الإنسان سيداً مُكَرَّماً والكلُّ ... كُلُّ شئٍ وأحد ... هُم له ومن أجله . فمن هو هذا الإنسان حتى يُسَلِّطهُ الله تعالى على كل ما صنعت يداه ...! هو الكائن الُمدلَّل فى الكون ، الذى له كل شئ ، والذى خَلَقَهُ بارئه فى أحسن تقويم . وقال عنه وعن كل بن آدم ... « **ولقد كرَّمنا بنى آدم** » ..(الإسراء : ٧٠)

نعم ويالهول التكريم ...

لقد جعل الله من الإنسان سيداً لكل شئ مستفيداً من كل شئ ، مخدوماً من كل شئ ، لا يحتاج إلاَّ ويجد ما يحتاج !

... « **ألم تروا أنَّ الله سَخَّرَ لكُم ما فى السماوات وما فى الأرض ..** » (لقمان : ٢٠)

... « **وسَخَّرَ لكم ما فى السماوات وما فى الأرض جميعاً منه ...** » ...

....(الجاثية : ١٣)

إن ذلك يعنى أن الله تعالى وَهَبَنا منافع كلِّ ما فى السماوات وما فى الأرض بلا مقابل وبلا أجر وبلا ثمن ...! نعم فهو « الوهَّاب » العطَّاء الغنى الكريم ذو الجلال والإكرام ذو المعارج الحنَّان المنَّان ذو الجود والفضل العظيم ... إنه ربنا الله تعالى . خلقنا لكى يعطينا هبة بلا ثمن ... بل ملايين الهبات التى لا تُعدّ ولا تُحصى ... مجاناً ...!

.... « **وإن تَعُدّوا نعْمةَ الله لا تحصوها ...** » ....(النحل : ١٨)

لماذا إذن خَلَقَنَا الله تعالى ؟ بكل تأكيد لكى يُعطينا الكثير والكثير والكثير ... بلا مقابل ...! ونحن نأخذ ونأخذ ونأخذ ... ولم نتوقف لحظة ... وهو لم يتوقف لحظة - وحاشاه - عن العطاء .

ولعل من أبسط قواعد الفضول أن نعرف اليد التى تُعطى بلا مُقابل . حسناً إنها يد الله تعالى ... ولعله - أيضاً - من بديهيات قانون الأدب أن نُعامل مَنْ يُعطينا - بلا مقابل مالا يُعدّ ولا يُحْصَى - بما يليق به ... ولعل أول بديهية فى قانون الأدب هى كلمة « شكراً » لمن يعطينى مجاناً وبإصرار ...!

وكلمة « شكراً » عندما يتبادلها عبد مع ربه لابد وأن تكون بالأسلوب الذى يليق بجلال المشكور وبما يرتضيه هو لنفسه ، وهذا لا يتأتَّى إلا بمعرفته . ولقد نظَّمت الأديان ذلك فيما يُسمى بالعبادات . إذن فعبادة العبد لربه هى كلمة « شكراً » مُصَاغَة بما يرتضيه المشكور - الله تعالى - وبما هو أهلٌ لأن يُعامل به ، بعد معرفته .

إذن فـ **العبادة** هى « **شكراً** » مع معرفة الكريم الذى نشكره ، لأنك لن تكون منطقياً إذا شكرت مَنْ لا تعرف . إذن فعلينا أن نشكره سبحانه بمعرفة تصيغ الشكر لائقا بعظمة وجلال المشكور . وفى هذا قال تعالى ... « **وما خَلَقْتُ الجِنَّ والإنس إلا ليعبدون ..** » (الذاريات ٥٦) . فهى إذن المعرفة والشكر ... أو العبادة . فهو خلقنا لنعرفه ولنعرف كل ما حولنا وما أعطى لنا ، ولنعرف مكانتنا التى جعلنا عليها ، ولنعرف ... ولنعرف ... ولنعرف ... ولطالما عرفنا ... فقد وجب الشكر اللائق من الشاكر للمشكور ... فهو شكر العارف ... أو العبادة ...!

وفى الحديث القدسى ... يقول ربنا عزّ وجلّ ...

... « **كُنتُ كَنْزاً لا أُعْرَف ... فأحببتُ أن أُعْرَف ... فَخَلَقْتُ خلقاً فعرَّفتُهم بى فعرفونى** » ...

ولو تأمّلت نص الحديث ... لعرفت الكثير والكثير ...!

ولربنا الله تعالى المثل الأعلى ...

فالكنز يستفيد منه الغير ولا يستفيد هو من الغير ... ولكى يستفيد الغير من الكنز فلابد لهم من معرفته حتى يمكنهم أن ينعموا به ، ولكى يعرفوه وينعموا به ، فمن البديهى أن يكونوا موجودين ، ولكى يكونوا موجودين ... خلقهم الله تعالى وأوْجَدَهُم ... **ولهذا خَلَقَهُم ...!**

هل يُحِبُنَا الله تعالى ؟!

أعتقد أنه لو جَاملك أحد بهديّة بسيطة أو ثمينة أو حتى بكلمة رقيقة فى موقف ما ... أعتقد أنك ستذكر صاحب المجاملة بالخير دائماً . ولربما تظل مُتَحيِّناً الفرصة له لكى تُعَبِّر عن مشاعرك تجاهه رداً لمجاملته السابقة . شخص آخر لربما يَتَربَّص ... نعم يتربَّص لهذا الذى جامله إمعاناً فى إكرامه بمجاملة أكبر تليق بالذى يؤدِّى المجاملة أى تليق به هو شخصياً وكشكر أيضاً عما سبق .

نعم إنه اختلاف فى درجات الكرم والجودة الأخلاقية العامة والخاصة التى تحكم الناس وتتحكم فى نظرتهم وحكمهم على الأمور وتعاملهم مع المواقف . ولربما لو حدثت المجاملة السابقة مع شخص ثالث لم تُحرِّك فيه ساكناً .

بل لربما أن هذا الشخص يأخذ الهدية ويُقلّب فيها ويَمُطُّ شفتيه لأنها لا تعجبه ولأنه كان يريد الأفضل ، لكنه يقبلها وعندها تحين فرصة ردها لربما يتعمَّد أن يُحضِر هديةً لا تزيد فى قيمتها كثيراً إن لم تكن أقل ! .

شخص رابع ربما يقبل كل أنواع الهدايا من كل الناس فى كل المواقف لكنه لا ينوى ردَّها لهم مجاملةً فى مواقف مماثلة ولا يعرف كيف يشكر ...

إنها أنماط النفوس ودرجات كرم ومستوى جودة أخلاقية وميول ونزعات وحوافز واتجاهات تحكم تعاملات الإنسان مع الإنسان ومع نفسه ولكن عندما يتعلق الأمر بابنك مثلاً ، إنك لن تبخل عليه أبداً . بل ربما إذا اقتضت الضرورة نزعت من فمك لأنه هو أولَى ولن تشعر ما حييت أنك مُحمَّل بأعباء ابنك مهما بَلَغتْ ومهما كانت مقدرتك . بل ستشعر بمنتهى السعادة لمجرد ابتسامة كست وجهه ... مُنتهى السعادة . نعم ستُسَلِّط إبنك على ثمرتك ومجهودك بكل الرضا والحب وما هو المقابل ؟ لا شئ !! فقط تريد أن تراه فى أفضل حالاته . وسيكفيك منه « شكراً » !!

هَبْ أن ابنك فى أحد مراحل التعليم وأنت تتابعه طوال العام الدراسى ... كُتُب ... مُذكِّرات ... كراسات ... دروس خاصة ... مصروفات ... الخ . وكل ما تريد ... هو أن يكون ناجحاً بالشكل الذى يُرضيك . ببساطة شديدة وبعد تحملك فى سبيله كل ما تحملت سنراك تَعِدُه ، أنه إن نجح فى امتحان نهاية العام وبما يرضيك عنه ، ستكون له منك مكافأة ... كذا ... وكذا ... وكذا ... وكذا ... !! وماذا تنتظر من ابنك ؟ أعتقد لا شئ سوى النجاح فى كل شئ وكلمة .. « شكراً » .

إن نمط الابن هذا يختلف كثيراً عن منطق المجاملات السابق ولكن فى الحالتين - حالة الإبن وحالة المجاملات - فالعنصر المشترك بينهما هو « واجب الشكر » . هذا وإن اختلفت درجة الثقة فى علاقة المحبة التى تحكم المجاملات ولأنها محكومة بأنماط سلوكية عديدة أخرى . ولكن علاقة الأب بابنه نستطيع أن نجزم بلا نهائية درجة الثقة بها ، وبخصوص مشاعر المحبة التى تحرك الأب تجاه ابنه ... إذن فأنماط العطاء تختلف شكلاً ومضموناً باختلاف العاطى وقدرته وسبب العطاء وشخص متلقى العطية ونوع العلاقة بين العاطى والمتلقى .

ولعل العطاء فى نمط الأب أعظم وأرقى من أن يكون عطاء مجاملة ، فهو عطاء واجب لماذا هو عطاء واجب ؟ لأنك تحب أن تعطى ابنك ... فأنت تحبه أكثر مما هو يحبك .... وأنت تعتقد أنك أحد المسئولين عن وجوده فى الحياة . إذن فعطاؤك واجب من منطقى المحبة والمسئولية .ولله تعالى المثل الأعلى ...

فقد قال عز وجل .. «**ألم تروا أن الله سخَّر لكم ما فى السماوات وما فى الأرض**»
....(لقمان : ٢٠)

...« **وسخَّر لكم ما فى السماوات وما فى الأرض جميعاً منه** »
....(الجاثية : ١٣)

أنظر إلى عطاء الله المجانى ... « سخَّر » ... أى وهب لنا ما فى السماوات وما فى الأرض مجاناً بلا مقابل ... وقال أيضاً ... « **وآتاكم منْ كلِّ ما سألتموه** » ...

....(ابراهيم : ٣٤)

أى ما من احتياج إلا ولباه الله لعباده . وفى هذا يقول على ما أسبغ علينا من نعمة ..
« **وإن تَعُدُّوا نعمة الله لا تحصوها** ... » .... (ابراهيم : ٣٤)

انظر إلى تلك العطايا والهبات المجانية والتى بدأت بإيجادنا وتهيئة الكون كاملاً لاستقبالنا بكل ما نحتاجه ونشتهيه ، وتنصيبنا سادة لكل شئ . فلم يجعل لشئ سلطاناً علينا ولكن جعل لنا سلطانا على كل شئ . وانظر إلى عطيته فى نظام الأسرة . فقد جعل لكل إنسان هبة حب هائلة تمنحه كل شئ وترعاه بأعينها ... منحه الأب والأم ... بكل ما يحملانه تجاه ابنهما ، وبكل ما يضحيان به فى سبيله ، وإن وصل الأمر إلى حرمان نفسيهما من أجله . وأعطاهما - تعالى - من أجلك ومن أجل أن تكون . « **نحن نرزقهم وإياكم** » ... (الإسراء : ٣١) . فقط هما يفعلان ذلك من أجلك وبسبب حبك الذى يملأ قلبيهما . فما بالك بمن وهبهما الحب بقلبيهما ووهبهما ما يعطيانه لك . ومـا بالك بمن صنعك وصنعهما .

... إن أحبك أبواك فقد كان حبه لك أعظم ، الذى جعلهما يحبانك ....

... إن أعطاك أبواك فقد كان عطاؤه لك أكبر ، الذى أعطاهما ليعطياك ....

... وإن جاهدا وسلَّطاك على ثمرة عرقهما وعمرهما عن طيب خاطر ، فقد سلطك على ما سلطاك عليه وعلى كل صنعة يديه ، وكان رضاؤه بعطائه أعظم ....

... وإن كانت غيرة أبويك عليك حُبّاً واحتواءً ، فقد كانت غيرته وكان احتواؤه لك ولهما أعظم .

... إن كان قد أحب من أنجب وولد ، فقد أحب من خلق ، وكان حبه لخلقه أعظم .

... « **أن اشكُر لى ولوالديك** .. » ....(لقمان : ١٤)

• التأمل الخامس •

ما احتياج الله تعالى إلينا ؟!

تنزَّه وتعالى ربنا الله عن النقص والإحتياج ، فكل شئ وأحد قائم به محتاج إليه . منه وإليه كل شئ وأحد ، الكل يتطلع إليه ، الكل إليه فقير .

فنحن الذين نحتاج الكنز !!

لا نزيده ولا ننقصه شيئا نحن وما لدينا وما نريد وما نفعل . فلو أن كل خلقه اجتمعوا وسألوه وأعطى كلاً مسألته ما نقص ملكه شيئاً . ولو أن جميعهم كانوا على أتقى قلب عامل الله وعرفه ، ما زادوه شيئاً . ولو أن أولهم لآخرهم عصوه وكانوا كأفجر قلب عصى الله وأنكره ، ما أنقصوه شيئاً .

... « **واعلموا أن الله غنى حميد ..** » .... (البقرة : ٢٦٧)

... « **وربُّك الغنىّ ذو الرحمة ..** » ....(الأنعام : ١٣٣)

... « **لله ما فى السماوات والأرض ، إن الله هو الغنى الحميد ..** » . (لقمان : ٢٦)

... « **يا أيها الناس أنتم الفقراءُ إلى الله ، والله هو الغنى الحميد ..** » .

....(فاطر : ١٥)

... **إن تكفروا أنتم ومَنْ فى الأرض جميعاً ، فإن الله لغنىّ حميد ..** » ...

....(إبراهيم : ٨)

... « **إنْ تكفروا فإن الله غنىّ عنكم ..** » ....(الزمر : ٧)

... « **فكفروا وتولوا واستغنى الله ، والله غنى حميد ..** » ....(التغابن : ٦)

... « **قُلْ ما يَعْبَأُ بكم ربى لولا دُعاؤكم ..** » ....(الفرقان : ٧٧)

أى ماذا يفعل بكم الله !! لولا أنكم الذين تلجأون إليه وتستغيثون به وترجون رحماته .

من يحتاج من .. ؟! أهو الذى يحتاج عباده ؟! أم نحن الذين نحتاجه ، وبدونه فالكل محرومون ... وسبحان ربِّك ربِّ العِزِّة عما يصفون ...

وجلّ وعلا القائل سبحانه ... « **ما أريدُ منهُم منْ رِزقٍ وما أُريدُ أنْ يُطعِمُونِ إنَّ الله هو الرَّزَّاقُ ذو القوة المتين ..** » ....(الذاريات : ٥٧ ، ٥٨)

تساؤل منطقى ...!

قال ربُنا تعالى ... « أمْ مَنْ هذا الذى يَرْزُقكُم إنْ أمْسَكَ رِزْقه ».....(الملك : ٢١)

... « قُل أرأيْتُم إنْ أصْبَحَ ماؤكم غوراً فمَنْ يأتيكُم بماء ... » ......(الملك : ٣٠)

أى من سيرزقكم لو منع الله رزقه عنكم ...؟!

أو لو اختفى الماء فى الأرض ومنعه عنكم فمن أين ستأتون بالماء ...؟!

ليُجِبْ إذن المخلوق المدلل المتمرد ... الإنسان ... !

الله رب

لقد تجرأ البعض على ربهم الله تعالى حين وصفوه بأنه محتاج لعباده وحاشاه .لقد قالوا أنه « لا ربٌ بلا عبد » ... ولطالما أن الله تعالى قد أراد لربوبيته الظهور خلق عباده ليكون هناك ظهور وإعمال لتلك الربوبية . و سبحان ربنا الله عما يصفون . إن معنى كلمة « ربّ » هى « السيد و/ أو المالك » .

وعلى مستوانا البشرى هناك « أرباب » عديدة . فهناك رب العمل ورب الأسرة ... الخ . فلكى تكون أنت رب أسرة مثلاً عليك أن تملك أسرة و بيتا وأثاثاً إلخ ...

... ورب العمل عليه أن يملك المكان والأثاث ويُوجِد معاونيه .... الخ . إذن فهناك قيود على ربوبيتك كإنسان وهى إحتياجك أصلاً لكافة المفردات والبنود التى تتمكن بعد توافرها من ممارسة دور « ربّ » . ولكن « ربوبية » الله تعالى ربوبية غير مُقَيَّدَة باحتياجه لوجود ممتلكات ومماليك لكى يكون سيداً مالكاً وبالتالى رباً .

فإذا نظرنا للربوبية على أنها السيادة والتملك ، فربنا الله تعالى هو السيد الأعظم قبل أن يوجد العبيد والسادة (جمع سيد) . وهو المالك الأوحد قبل أن يتملك السادة . فهو مالك كل مالك ومملوك . فهو الذى – وقبل أن يخلق أحداً أو شيئاً – يمكنه الإيجاد إذن فهو مالك بمطلق قدرته ولا يقال له بعد أن تخلق ستكون مالكاً لما خلقته ... لا ...!!

ولطالما هو السيد الأعظم الذى يسود كل شئ ويمكنه فعل وإيجاد أى شئ فى أى وقت يشاء إذن فهو السيد الحقيقى قبل وجود أى موجود . فهو سبحانه غير منتظر الملكية والسيادة على ما يخلق فلذلك خلق ، وأصبح مالكاً وسيداً وبالتالى « ربّا » بعد أن خلق .

لا ... فهو السيد الأعظم والمالك الأوحد قبل أن يخلق وبعد أن خلق إذن فهو « الربّ » قبل أن يخلق وبعد أن خلق .

وليعلم المخلوق المدلّل المتمرِّد أنه لم يُضِفْ لربنا الله تعالى شيئاً .

وسبحان ربنا وتعالى عما يصفون .

....

● التأمل السادس ●

عِلْمُ اللّٰه ومشيئته ..

علم الله

هو المعرفة الأزلية الأبدية الإلهية الكاملة ، والتى تحصى كل شئ وتحيط به باطناً وظاهراً . وعلم الله سبحانه وتعالى ، هو معرفة سابقة تجتاز العصور والزمان والمكان ، ولا يعجزها شئ فى الأرض ولا فى السماء . ولا تحدها الحدود ولا تقيدها القيود ، ولا يعتريها الزلل أو السهو أو النسيان .

علم الله سبحانه وتعالى هو كتاب محيط مُحصٍ جامع يبدأ من « اللا ... متى ... الأزلية » إلى ... « اللا ... متى ... الأبدية » وهو تعالى « الواجد » ... ومتى أراد ... وجد ...

... « .. **يُخْرِجُ الخَبْءَ فى السماوات والأرض ويعلم ما تُخفون وما تُعلنون ..** »

« الخبء » أى الخفايا والمخبوء ....(النمل : ٢٥)

... « **هو الله الذى لا إله إلا هو عَالِمُ الغيب والشهادة ..** »........(الحشر : ٢٢)

« عالم الغيب والشهادة » ... عالم الغيب أى يعلم كل ما يغيب عن كل مخلوقاته وهو بالنسبة لهم مجهول . وعالم الشهادة أى أنه المحيط علماً بحقيقة ما يعلمه ويشاهده عباده ، فَهُم لم يحيطوا ولن يحيطوا بخفايا ما يشاهدون ....!!

... « **رَّبكم أعْلَمُ بما فى نفوسكُم ...** » .... (الإسراء : ٢٥)

... « **أو ليسَ الله بأعلم بما فى صدور العالمين ..** » .... (العنكبوت : ١٠)

... « **وَأَعْلَمُ ما تُبْدُون وما كُنتم تكتمون ..** » ....(البقرة : ٣٣)

« **وما يَعْزُبُ عن ربِّك من مثقالِ ذرةٍ فى الأرضِ ولا فى السماءِ ولا أصْغَرَ من ذلك ولا أكبرَ إلاّ فى كتاب مُبين ..** » .... (يونس : ٦١)

... « وما يَعْزُبُ » ... أى لا يغيب ...

إذن فَعِلْمُ الله تعالى هو علم الحصر والإحاطة اللائقين بربنا الله المحيط العليم الخبير عالم الغيب والشهادة . وعلْمُ الله ليس علم قهرٍ وإكراه لعباده . فكونه تعالى يعلم من الآن عبده الصالح ويراه فى الجَنَّة فى علمه ، هذا ليس بميزة يتمتَّع بها هذا العبد الصالح . لأن علم الله فقط يعلم لكنه غير مُوَجِّه لهذا العبد أو مُسَيِّر له فى الصلاح أو ناهيهِ عن السوء . وبالمثل يرى الله تعالى من الآن آخرين فى النار .

... لم يُكْرِههم علمه على سلوك السوء . فهو علم حصر وإحاطة وليس علم تسيير وقهر وإكراه . أو هو كعلم يحُصى ويحيط ولايتدخل فيما نوى العبد . وإن كان مُسجِّلا ما نواه العبد قبل أن ينويه .

فإرادة العبد إذن إرادة حرة ، ومشيئته تخصه . وإن كانت كل نواياها وظواهرها وبواطنها مُسَجَّلة فى علم الله قبل أن يأتى هذا العبد أصلاً للحياة .

مشيئة الله الفعّال

لقد أراد الله سبحانه وتعالى وكل ما أراده كان ، وكل ما يريده يكون ، إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كُنْ فيكون ... إنها مشيئة الله تعالى ، إذا أراد شيئاً ... أى شىء حَكَمَتْه الكاف والنون ، وما أن يقول كُنْ حتى يكون ... إنها المشيئة النافذة السارية متى وكيف وأين أراد لها سبحانه أن تسرى ... فالكون المخلوق بمشيئته - ما نرى وما لا نرى ما نفهم وما لا نفهم - إنما هو جَمْعٌ من الُمكوِّنات والمفردات ، والتى كُلُّها - جوهرياً - خادم لتلك المشيئة .

فإجمالى مفردات الكون التى نراها ولا نراها كلٌّ منها أداة لتلك المشيئة . وإن استوعبناها من منظورنا فهى سبب تسَّببَ فى ... أو أدَّى إلى ... ما نفهم وما لانفهم ما نرى وما لا نرى . ومن أشكال تكريم الله تعالى للإنسان أن جعل له مشيئة . فالإنسان يشاء كذا فى وقت كذا بسبب كذا ... وبأسلوب كذا ... لأنه يريد ذلك .إذن فللإنسان مشيئته التى منحه الله تعالى ... والإنسان حر فى استخدام تلك المشيئة . ولكن حقيقة تلك المشيئة أنها مُقيَّدة بالأسباب .

فلو أنه شاء - أى الإنسان - أن يفعل شيئاً ... أن يصل مثلاً الساعة الثامنة والنصف صباحاً إلى مقر عمله . فما هى مُكوِّنات أو تفاصيل قرار تلك المشيئة ؟ .

أولاً: نيته فى أن ينام مبكراً حتى يستيقظ مبكراً .

ثانياً : محاولته النوم مبكراً .

ثالثاً : خلوده للنوم فعلاً .

رابعاً: إستيقاظه فى الصباح .

خامساً: تناوله إفطاره .

سادساً: ارتداؤه ملابسه .

سابعاً : نزوله من منزله .

ثامناً : تَوَجُّهه لسيارته أو لوسيلة مواصلات .

تاسعاً : إستعداده بسيارته أو انتظاره لوسيلة المواصلات .

عاشراً: تحركه بسيارته أو بوسيلة المواصلات .

حادى عشر : إستهلاكه للوقت بالطريق وحتى مقر عمله .

أنظر إنه تحليل بسيط لقرار بسيط وبين كل نقطة وأخرى العديد من الخطوات التى لم تُذكَر ، وكان من الممكن أن يكون التحليل أكثر تعقيداً لو أننا مثلاً أضفنا أنه سيقوم بتوصيل زوجته لعملها ، وأولاده لمدارسهم .... إلخ .... وكذلك إذا ذكرنا كل الخطوات والتفصيلات الممكنة ... !

إن مثل هذا القرار البسيط الذى نُمارس العديد من نوعيته فى حياتنا اليومية مراراً وتكراراً ، إنما ينطوى على مشيئة ، هى مشيئة صاحب القرار . وراقب كلاً من المكوِّنات السابقة لتلك المشيئة .

... إن أى خلل فى أى مُكَوِّن من المشيئة ، إنما يطيح بالقرار برُمَّته ، ويُعَطِّل تلك المشيئة . فلو أنه لم ينم مبكراً فمن الممكن أن لايستيقظ مبكراً . أو لو كان الطريق مزدحماً لما تمكّن من الوصول فى موعده ... إلخ .

إذن كيف يكون الإنسان صاحب مشيئة ، وتأتى من الأسباب ما تُعَطِّلها وتطيح بالقرار برُمَّته . وبالتالى يسير هذا الشخص يَجُرُّ وراءه أذيال مشيئته المُعطَّلة . كيف يكون الإنسان صاحب مشيئة ولاتُنَفَّذ تلك المشيئة كما أراد لها صاحبها ؟!

بالتأكيد أن هذا الإنسان الذى نتحدَّث عنه ليس هو المُفردة الإنسانية الوحيدة على الأرض . ولكن هناك المليارات من المفردات الإنسانية يفترشون الكرة الأرضية .

بالتالى لو أن هناك – مثلاً – مليار إنسان لكل منهم مشيئته ، ومثلاً يريد أحدهم أن يكون غنياً ويريد ثانيهم أن يكون مشهوراً ويريد ثالث أن يقتل جاره ، ويريد رابع أن يهاجر ، ويريد خامس أن ينجح فى اختبارات جامعته ، ويريد السادس أن يبيع كتاباً ، ويريد السابع أن يُطلِّق زوجته ، ويريد الثامن أن يكتشف علاجاً للإيدز ، ويريد التاسع أن يسهر فى فندق فاخر ، ويريد العاشر أن يبنى بيتاً ، ... إلخ .

أنظر لكل مشيئة على حدة ، لن تجد أن إحداها تتم دون التأثير أو التأثُّر فى الآخرين

أو بهم . وليس فقط الآخرون من الجنس الإنساني ولكن الأشياء أيضاً لها علاقة بما نتحدث عنه .

« ولولا دفعُ الله الناسَ بعضَهم ببعض لفسدت الأرض .. » ....(البقرة : ٢٥١)

فلو ترك الله تعالى الزمام كاملاً لعباده لفسدت الأرض ، لو حقَّق كلٌّ منهم مجموعة القرارات التى أصدرتها مشيئته بصرف النظر عن كل شىء .

... ما معنى ذلك ؟!

... إن ذلك يعنى أن الله تعالى يباشر سلطانه فى مُلْكه كربٍ إله ... يرى الكل ، ويسمع الكل ، ويجيب الكل فى آن واحد . ولا يشغله شىء عن شىء ولا صوت عن صوت ولا نداء عن نداء ولا إجابة عن إجابة .

إذن فمشيئة الله الحكيم المحيط تُنَفِّذُ لك مانويته أنت ولكن بالتنسيق مع الكون كله . لأنك لا ترى ما يراه هو سبحانه . ولا تعلم ما يعلمه هو ولا تحيط بما يحيط به هو . إذن فمشيئة ربنا الله فوق مشيئتك . وأساس عدله تعالى ، أن تُنَفِّذ للكل مشيئتهم طبقاً لما نووه فعلاً وحسب شاكلتهم ... وبما ينفعُك ولايضرك ولايتعارض مع قرارات إلهية قد سبقت وصدرت ، ليقضىَ الله أمراً كان مفعولا .

مثلاً نجد أنك كنتَ متوجهاً لسفر ، وذهبت إلى موقف السيارات الأجرة . وتريد أن تركب بسرعة السيارة التي ستتحرك ، ولكنك تصطدم بأن العدد كامل . وتظل ترقب الموقف متضايقاً ، لعلّ أحد الركاب يغيِّر قراره ويترك السيارة ، فتجرى أنت لتحتل مكانه .

وتظل هكذا ترقب الموقف ، حتى تتحرك السيارة وأنت ناقم على السيارة ومَنْ بها . وتضطر آسفا لانتظار السيارة التى تليها ، وتظل قابعاً بها حتى يكتمل العدد وتنطلق بك وبهم .

وبافتراض أنك تَحَرَّكَتْ بك وبهم السيارة ، فمن الممكن أن تُفاجأ بالسيارة التى كنتَ طموحاً وشغوفاً لركوبها ، مقلوبة إثر حادث بالطريق وكل ركابها أموات ... !

هنا عطَّلت مشيئةُ الله تعالى مشيئتك لأن عمرك لم ينته بعد . وهذا هو المقصود بالقرارات الإلهية التى تكون قد صدرت ولا رادّ لها . وليقضىَ الله أمراً كان مفعولاً .

فما بال السارق الذى أضمر فى نيته اقتحام مكانٍ ما لسرقته بأسلوب معين وفى توقيت معين .

الأمر هنا له عدة أطراف ، أولاً : السارق . ثانياً : مَنْ سيُسْرَق . ثالثاً : ما سيُسْرَق . ... المشيئة الموجَبَة هنا فقط للسارق أما الذى سيُسرق منزله فذو مشيئة سلبية فى هذا الموقف لأنه ليس طرفاً فى تخطيط نية السرقة . وكذلك الشىء المسروق أو الذى أضمِرتْ نية سرقته ليست له مشيئة .

فالسارق هنا إنسان له شاكلة معينة ، واتجهت مشيئته لتحقيق شىء سىء ... « سرقة » . لاحظ أن مشيئة الله تعالى لوظلت تعُطِّل مشيئة السرقة عند هذا الشخص طوال حياته ، إذن لصنعه الله تعالى - بالإكراه - من الأخيار رغماً عن هذا الشخص نفسه ... !

ولكن ستسمح له مشيئة الله بأن يكون سارقاً لصاً كما أراد هو لنفسه وأرادت شاكلته ، ولكن بما لا يُخِلّ بالتنسيق العام للكون .. ! فالمسروق قد يريد الله أن يعطيه درساً بسيطاً بسرقة شىء تافه من منزله حتى يكون أكثر حرصاً مع الأشياء الأهم . إن مشيئة ربنا الله تعالى ، هى ما يحفظ للكون انضباطه وتناغمه ، إنضباطاً وتناغماً يليقان بملك الملوك العظيم . وفى هذا يقول سبحانه ...« **وما تشاءون إلاّ أن يشاء الله رب العالمين** .. »
.... (التكوير : ٢٩)

إنك إن أردت الحقيقة ، وبتحليل بسيط ، لوجدت أن الله سبحانه وتعالى قائمٌ علينا لكل صغيرة وكبيرة . ويفعل لنا كل شىء ... !

لو علمت الحقيقة لاستحييت من نفسك أمامه . إنه هو الذى يطعمك ويسقيك وهو الذى يُعلِّمُك ويقود معك سيارتك ويُربِّى معك أولادك !! إنه هو الذى يضع فى فمك لقمة الطعام ويعطيك شربة الماء . فبمشيئته كان أمامك الطعام ... وبمشيئته رفعت يدك به إلى فمك ... وبمشيئته تناوله فمك وبمشيئته تستقبله معدتك وتهضمه أمعاؤك . وبمشيئته كان كوب الماء أمامك ، وبمشيئته رفعته وشربت وبمشيئته شبعت وارتويت . وإن شاء ماشبعت ولا ارتويت مهما أكلت أو شربت .

وإن شاء لاكتنزت وما إغتنيت ... وإن شاء لذَهَبْتَ وأتيتَ وكأنَّك ما ذهبت ... ! ولفَعَلْتَ ما فعلتَ وكأنَّكَ ما فعلتَ ... لأنَّك ما شكرتَ وما قنعْتَ ... ولا مشيئته قدَّمت ... !

... « **وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين** » ...

نعم ... هو ... ربُّنا الله الفعّالُ لكل شىء بمشيئته .... كل شىء .... !

وراقب أى فرد في عائلتك أثناء نومه ستجده يتنفَّس ، وقلبه يعمل وكأنّه فى حالة يقظة ... لا فرق .

فبرحمته ومشيئته جعل أهم الوظائف التى تضمن لنا حياتنا فى أجسامنا خاضعة لرقابته وتحكمُه هو وليس لتحكمنا نحن .

فلو أن الإنسان كان هو المسيطر إرادياً بمشيئته على كل أجهزة جسمه . فماذا كان سيفعل أثناء نومه مع نبض القلب وعملية التنفس وعملية الهضم وأداء المُخ ؟!!!!

بل وأثناء اليقظة ، كيف كان حالنا لو أننا المسئولون عن ضبط وإدارة كل أجهزة الجسم . أعتقد أننا كنا سنتفرّغ تماماً للعمل « كعسكرى مرور » لتنظيم الأدوار ولمتابعتها بين أجهزة الجسم المختلفة ... !

ولو كان الإنسان هو المسئول عن إدارة تلك الأجهزة لما ذاق للنوم طعماً ، خوفاً من توَقُّف الأجهزة عن العمل ... !

فنحن نمارس حياتنا وهو تعالى مُتَولّى ذلك عنّا ، ونغفل وننام وهو الحى القيوم ، الذى لا تأخذه سِنَةٌ ولا نوم .

... قال لنا .. اتركوا هذا لى .. وناموا أنتم واستريحوا ..! نعم .. إنها مشيئته تعالى ... هى خاتم التصديق الإلهى على كل فعل فى أى وقت أو مكان من أى كائن كان هذا بخصوص فعل الكائنات ....

أما بخصوص الأفعال الإلهية ....فَمَردُّها إلى إرادة الله تعالى ، وظهورها هو رهن مشيئته . ووفق إرادته .

أحمدك يارب أننى عبدك وأنت ربى وإلهى ... وأؤمن أنك أنت الفعّال لما تريد .

....

● التأمل السابع ●

مسلم ... مسيحى ... رجل ...
امرأة ... غنى ... فقير ...!!

أنا رجل وهى إمرأة ، أنا مسلم وهو مسيحى ، أنا فقير وهو غنى ، أنا مريض وهو صحيح ، أنا ابن فلان وهو ابن فلان ... ألف لماذا ولماذا و لماذا ؟ !!

لقد سبق وأن تعرّضنا إلى أننا لسنا مجرد ظواهر مؤقته طرأت بميلادنا . بل أننا عبارة عن « نفوس » أو « ذوات » (جمع ذات) أو حقائق كانت من الأزل فى علم ربنا الله تعالى . ثم مَرّت هذه النفوس بمرحلة خَلْقها العادل المُسَاوِى بينها فى كل شىء . وتحولت بذلك إلى حقائق فى الأزل . ثم علّمها الله تعالى كل شىء . وبالتالى تشكّلت تلك النفوس اختيارياً وبمحض إرادتها الحرة .

ثم بخلق آدم عليه السلام أصبح الجميع مُنتمياً إلى عالم الذُرِّية الذى نعيشه الآن ، وما يحمله هذا العالم - عالم الذُرّية - من أنساب وألقاب وزمان ومكان للتواجد من خلال الميلاد المتعارف عليه لأبّ وأم . وبما يتناسب مع التشكُّل الحر الذى سلكته تلك النفوس سابقاً ، وبعد أن أصبح لكل نفس شاكلتها .

وطبقاً لقواعد العدل الإلهى - وكما قلنا - فإن تشكُّل تلك النفوس إنما كان تشكُّلا حُراً لايشوبه القهر أو الضغط أو الإكراه ، وحاشا لله .

وهذا التشكُّل لايتم إلا فى ضوء " **ونفس وما سوَّاها . فألهمها فجورها وتقواها** " (الشمس : ٧) . أى فى ضوء تعريف الله تعالى لتلك النفوس بكل المعانى والـمُمْكنات التى تساعدها على التشكل التام . وبما يليق بحكمة وعدل ربنا الله تعالى . فلكل منهم أن يختار كُل ما يُضْمَن به تمام تَشكُّله ... وبعد هذا التشكُّل الحر ، يهب الله تعالى لكل نفس وجودها بما هى أهله وبما تستحقه ، مكاناً ، وزماناً ، ونوعاً ، وديانة ، ونسباً ... إلخ ، من خلال الميلاد لأبّ وأم .

كل ذلك من خلال ما تَشَكّلت عليه هذه النفس ، واختارته ، ومالت إليه ، وتمنّته ، ورغبت فيه ، وتعلّقت به ... إلخ .

وبالتالى ولطالما أن علم الله سبحانه وتعالى هو العلم المحصى المحيط الجامع ، فهو أعلم بتلك النفوس وشاكلتها . وبمنطق وَهّابيّته وعدله المطلق وحكمته ورزّاقيته ، وَهَبَ الوجود العادل تماماً لكل نفس ، طبقاً لما اختارته ومالت إليه ، وبما يناسبها . وبما يرتبط بكمال إتمام عمارة الأرض بالتواجد الإنسانى المنضبط ، وطبقاً لمشيئة الله تعالى لتلك النفوس ، وللزمان والمكان اللذين سيشهدان ميلاد تلك النفوس .

إذن فنفسك - بعد عرض كل المعانى والـمُمْكنَات عليها - هى التى مالت لأن تكون رجلاً ، وهى رغبت أن تكون امرأة ، وهو مَالَ للإسلام ، وهى مالت للمسيحية وآخر مال للإلحاد ... لم يفرض عليك الله شيئاً . فأنت موجود فيما تَمنَّيت أن تكون فيه . ولكن إنضباطاً وارتباطاً بحكمة ومشيئة الله تعالى .

إذْ كيف يفرض الله تعالى على إنسان ما ... الكفر مثلاً - والعياذ بالله - ويأتى فى النهاية ليحاسبه عليه ؟! أى عدل هذا وأى منطق ؟! حاشا لله ...

وقد يتبادر للذهن تساؤل ! وهو ... بافتراض أن أحد الأشخاص يعتنق ديناً معيناً (كأسرته) ، وفى لحظة معينة فى حياته قرر تغيير ديانته ... فما معنى ذلك ؟ وما ارتباطه بما سبق قوله ؟!

بافتراض أن هذا الشخص يعتنق الدين (أ) وبعد تغيير ديانته أصبح معتنقا للدين (ب) ببساطة شديدة ، فإن الله تعالى أوجده منتمياً للديانة (أ) كما تشكلت نفس هذا الشخص ومالت . وكونه قد تحول للدين (ب) ، لم يفرض عليه الله ذلك . ولتعرف أنت حقيقة الموقف ، ادرس الدين (أ) والدين (ب) .

ولتنظر ... هل تحول هذا الشخص من حق لباطل - والعياذ بالله - أم من باطل لحق ؟! ... وفى كلتا الحالتين لم يفرض عليه الله شيئاً ، فلا هو تعالى فرض عليه الدين (أ) ولا فرض عليه الدين (ب) ، وإن كان علمه مسبقا يعلم بتقلبه بين (أ) ، (ب) . ولكن خارج منطق الفرض أو الإكراه ، يمكن النظر للموضوع من منظور آخر . فلو أن هذا الشخص باتجاهه من حق لباطل وبالرغم من كونه صاحب القرار الوحيد إلا أن رحمة الله لن تتركه ، وبمعنى أنها ستظل - قبل اتخاذه لقراره - تمده وترشده حتى لا يضل ، ولكن لأن الله تعالى لا يكره عباده على شئ ، ولطالما أن صاحب النية هو صاحب مشيئة ، فلعبده إذن ما نوى وما قرر ، وللعبد - فى النهاية - موعد مع ربه يوم الحساب .

ولو أن الوضع معكوس ، وأن الشخص يتحول من باطل إلى حق ، ثق أن المرجع الأساسى لهذا التحول هو فيوضات رحمات ربنا الله تعالى . كيف ؟!

إن الله تعالى لا يكرهنا على أفعالنا ولا إيماننا ، ولكن ... الضال هو عبد لربه كالبار أيضا . وهو يحب هذا وذاك . وكن على ثقة أن كل الضالين والذين يعرف الله بعلمه المحيط أن بنفوسهم بارقة أمل فى هدى ، يظل يطاردهم برحماته وآياته فى كل مكان وزمان . فهم عباده وهو الرؤوف الرحمن الرحيم . ولكن ... لا إكراه ، بل مجرد إرشاد المحبة والرأفة والرحمة .

... « **ولو عَلِمَ اللهُ فيهم خيراً لأسْمَعَهُم** » .... (الأنفال : من ٢٣)

ومن الممكن أن يتساءل شخص ، ألم يكن علم الله تعالى محيطاً بتقلبات هذا الشخص قبل نزوله للأرض ؟ نعم ، ولكنه أخذ من الله تعالى هبة الوجود التى تناسب ميوله . ثم بعد نزوله ... تراءى له ما تراءى . وهذا لا يتعارض مع علم الله المسبق بهذا التقلب الذى سيصاحب هذا الشخص ويعتريه ، ولأنه تعالى أعطاه هبة الوجود التى تناسب تشكله ، وله أولاً وأخيراً ما يريد ، فهو مُخيَّر فى أفعاله وليس مُسيَّراً . وبالمثل الرجل بعملية جراحية يتحول لامرأة أو العكس . كُلٌّ قد أخذ من الله تعالى هبة الوجود العادلة والمناسبة مع تشكُّله ، وبعدها ... فله ما يرى . وعلم الله يحصى كل هذا ، ولكن علمه غير مُكْرِه ، فعلمه تعالى – وحاشاه – غير مُقيِّد لمطلق عدله .

هو غنى ... وهى فقيرة ... هو مريض ... والآخر صحيح ... هى جميلة ... الأخرى أكثر جمالاً ... الخ .

لعله ارتباط بمقاييس الرزَّاقيِّة الربانية وتطبيق لمطلق عدل ربنا الله تعالى ... يمكننا القول أنك و إن كنت فقيراً وغيرك غنى ، وغيرك صحيح وأنت مريض ... فإن رزَّاقيَّة الله وعدله مازالا معك ...!

فلماذا تحسبها أنت من منطق حياتك الآن فقط . ولكن احسب عطاء الله لك فى الدنيا مجموعاً – إن شاء الله – على عطائه لك أيضاً فى الآخرة . ولابد وأن تجد أن معادلة العدل الإلهى منضبطة انضباطاً مطلقاً .ثم من أدراك أنك لو كنت غنيا لما أفسدت فى الأرض . وتكون قد خسرت دنياك وأخراك . ومن أدراك أن هذا الغنى ليس فى ابتلاء واختبار صعب؟ ... **فـ العطاء ابتلاء ...!** وعلى الأقل أنت لم يكن لديك من الأموال ما تُسأل عنها ، وفيما أنفقتها ؟ ومن صاحب الحق فيها الذى حرمته ؟ وكل وزر اقترفَتْه يداك حتى جمعتها ...! وهذا من رحمة ربك بك ...

فهناك من لا يعبد ربه إلا وهو فقير ، ولئن أغناه الله نُسى الله ...!

وهناك من يحب الله وهو غنى ، فإن أفقره جحد بكل شئ وأنكره !

وهناك الذى يذكر الله كثيراً لأنه مريض يطلب الشفاء ، ولئن عافاه ، لتمرد وتجبر فى الأرض ...!

إفترض أن الله تعالى قد خلق كل الناس أغنياء ، وكلهم أصِحَّاء ، حاول أن تتخيَّل شكل أى مجتمع بهذه التركيبة ...! لم تكن لتجد من ينظف لك الشارع ، أو يقود الأتوبيس العام ، ولكنت وجدت أعضاء المجتمع من الأغنياء الفتوات ... !!!

إن رحمة ربنا الله تعالى بنا ومن تمام كمال حكمته ومطلق عدله ، أن جعلنا درجات فى كل شئ . حتى تنصلح الأرض وتنضبط بتلك الدرجات والمستويات . وهو ما لا ينفصل عن توظيفه لنفوسنا حسب شاكلتها وجوهرها ، وبما يعتبر أفضل وأعدل وأحكم توظيف يتناسب مع شاكلة كل نفس ، ولإفادة هذه النفس بأعظم الخير أولاً وأخيراً .

وقد تجد من يسألك ... لماذا خلقنى الله ... أعمى ؟! (هو ضرير) هل أنا الذى اخترت ... أن أكون أعمى ...؟!

لا ... بالطبع لا ... !

... فالموضوع مرتبط بوهَّابية الله تعالى ورزّاقيِّته وعلمه وحكمته . فكما قلنا إن تطبيق معادلة تمام مطلق عدل الله تعالى ...إنما يشملك « دنيا » و « آخرة » ، وبمعنى أن تمام ما وهب الله تعالى لأى شخص فى دنياه إنما يضاف إلى ما سيعطيه له تعالى فى أُخراه . لأن الدنيا ليست هى دار العطاء الوحيد ، ولكنها دار بداية العطاء . وقِسْ على ذلك ... أيّاً ... مما يتراءى لك ... أو يدور حولك ... فى ذات الخصوص ، وبما لا ينفصل عن كون نفسك موظفة من الله تعالى فى أمثل ما يناسب تمام تشكلها ...

وقد يتبادر لذهن البعض ... تساؤل عمن يولد مصابا بالتخلف العقلى ...

ماذا عن نفس هذا الشخص ..؟! وأين هى ملامح نفسه المتشكلة ...؟!

هل هو الذى اختار أن يكون هكذا ...؟!! وهل مشكلته فى جسده أم فى روحه أم فى نفسه ...؟! ... أم فى الثلاثة ...؟!

إن مثل هذا الشخص ... وإن بدأت مشكلته - تجاوزاً ومؤقتاً نطلق عليها مشكلة - بنفسه أو ذاته ... فمن الممكن أن تراها منعكسة عليه جسديا بشكل أو بآخر ... ولكن روحه أو سر وجوده ... مازالت كامنة به ... وتعمل وتؤدى معه ... كما تؤدى مع الآخرين - الطبيعيين - أرواحهم .

بداية ... من هم أطراف هذا الموضوع ... تأثيراً وتأثُّراً ... ؟

... الله سبحانه وتعالى كرب خالق ، والشخص محور النقاش ، وأسرته ، والمجتمع الذى ينتمى له هذا الشخص بأسرته . إذن ... ومن منطلق ثقتك المطلقة ... فى إطلاق عدل ربنا الله تعالى ... فإنه غير متخيَّل ... أن يفرض الله تعالى على مثل هذا الشخص إلا ما يناسبه ...!

وبمعنى ... أن « نفس » مثل هذا الشخص ... عند عرض كل المعاني والممكنات عليها مثل باقي النفوس الأخرى ... لو أنها تشكّلت مثل تشكُّل الأخريات ... لأوجدها الله سبحانه وتعالى ... مثلما أوجد تلك النفوس ... من خلال هبة الوجود - التي يمنحها لكل نفس - بما يناسب تشكلها الذي سلكته بِحُرِّيَّة ، ودون إكراه من الله تعالى وحاشاه .

وإلا ..... لو تخيلت لجزء من لحظة .... أن « نفس » مثل هذا الشخص - المصاب بالتخلف - قد تشكّلت مثلما تشكّلت أي نفس أخرى ... وأهدر الله سبحانه وتعالى هذا الإختياروالتشكل لهذه النفس ... ووافق به لنفس أخرى ... فأوجد الأولى رغماً عنها ... في هذا الوجود - مُصابة بالتخلف - وأوجد الأخرى دون إهدار لتشكُّلها ... كما يُوجِد أي نفس في أي إنسان طبيعي ... إن فكرت بهذا الأسلوب ... تكون طاعنا - والعياذ بالله - في عدل ربنا الله تعالى . وأنت لا تستطيع أن تفصل - في الحقيقة - بحدود فاصلة بين عدل الله وعلمه وإحاطته ورحمته ووهابيته وحكمته ... الخ .

ولكن عندما نستخدم مصطلح « عدل الله » فإنما نريد أن نبرز منطق العدل وإن كان إبرازه لا يستر ولا يعطل أفعالاً أو أداءات أخرى لربنا سبحانه وتعالى .

وبمعنى ... أن نفس هذا الشخص ... متساوية في كل شئ مع أي نفس أخرى لإنسان عادي ... وأخذت كما تأخذ كل نفس ... والشكل النهائي الذي ظهرت به في عالمنا من خلال هبة الوجود الممنوحة لها من الله سبحانه وتعالى هو أفضل وأعدل وأحكم ما يناسب هذه النفس بعد تمام تشكلها ... وقبولها أو رفضها لما عُرِض عليها ...

هذا ما دمت تؤمن بأن نفوسنا جميعاً في يد ربها وخالقها العدل الحكيم . وكما قلنا فإن إبراز منطق « العدل » أو « الحكمة » ... لا يعني قيام الله تعالى بممارسة عدله أو حكمته ... وحجب باقي صفاته وأفعاله ... سبحانه وتعالى ...

وإن كان فعل الله ... قد استطاعت أن تسميه الحروف ... فإنها لن تحيط بمُمَارِس الفعل أثناء ممارسة فعله ، وستعجز عن تحديد جوهر حقيقة فعله كما يفعله هو سبحانه وتعالى ... جلّ شأنه ...

وعلى ذلك يكفى أن تعلم .. أن « الله » تعالى هو الذى أوجد هذا الشخص - المصاب بالتخلف - فى أفضل هيئة وجود ممكنة ، وبما يتناسب مع كل ظنك فى الله تعالى .

كان هذا من جهة الإيجاد من الله تعالى ، وأما بخصوص الشخص ذاته - وكما قلنا - ستنطبق عليه معادلة تمام مطلق عدل الله تعالى ، دنيا وآخرة . مع ملاحظة أن مثل هذا الشخص قد سقط من على عاتقه عبء التكليف الذى يحمله الشخص العادى ، لطالما هو خارج حيز الإدراك العقلى الكامل ، وبالتالى يخرج أيضاً من حيز المساءلة ... ولربما يساعدنا ذلك الخيط فى تحسُّس شئ عن هذه النفس ...!

... وطرف آخر مرتبط بهذا الشخص ، وهو أسرته ...

... وحيث أن مثل ذلك الوجود لمثل هذا الشخص فى أى أسرة ، إنما يعتبر اختباراً ضخما من الله تعالى . ولمثلما يجزى الشاكر ... كذلك يجزى الصابر ... فالإختبارات عديدة ... ولكل من يرى مثل هذا الشخص ، إنما يرى عظة أو عبرة حية ناطقة ... لجلال وكمال النِّعم الحاصل عليها كُلٌّ منا بوهابية ربنا الله تعالى ... ولكى يتذكر ... من نسى ... ولا يقلق أى منا لطالما أن مُوَظِّف نفسه هو ربنا الله تعالى وليس أحد سواه ، ولطالما أن كلاً منا قد ارتضى عدل ربنا تعالى عدلاً ذا كمال مطلق لا مُعَقِّب له . والحمد لله أنه ربنا ونحن عباده .

• التأمل الثامن •

القــدر والقضــــاء ..

القــدر :

هو تقدير الله – تعالى – لكل شئ علماً وإحاطة وتدبيراً ...

القضاء :

هو ما كان من تقدير الله – تعالى – آخذاً شكل القرار ، أو الحكم النهائى . والقضاء إذن شكل من أشكال القدر ، أو من أشكال تقدير الله تعالى ... يأخذ شكل الأمر النافذ المفعول ، ولا يملك الخلق جميعاً إلا الإنصياع لذلك الأمر ، لأنه لا اختيار لهم فيه ...

هذا وقد يكون القدر ، أو تقدير الله تعالى .

(أ) تقدير علم وإحصاء وإحاطة :

وهو الذى ينطوى على إحصاء وإحاطة علم الله القديم الأزلى لكل شئ قبل أن يكون . وبمعنى سبق علمه تعالى بمعرفة ما سوف يكون قبل أن يقع أو يحدث من كل خلقه . وهو مجرد تقدير علم وإحصاء وإحاطة . وكما قلنا ، فإن علم الله تعالى المسبق الأزلى بما سوف يكون من أحد خلقه ليس بمُكره ولا بقاهر لعبده على فعل معين لا يرغبه العبد ، إذن فهو ليس تقدير تسيير ، ولكن تقدير إحصاء من علم الله تعالى لكل ما سيحدث قبل أن يحدث . وهو ما يغلب تسميته بـ « **القَدَرْ** » .

ويفعل الإنسان ما يفعل ، ويقول لك « **أعمل إيه مكتوب ، واللى مكتوب عالجبين لازم تشوفه العين** » ...!!!!!

لا ... مَيِّزْ من فضلك ... فأى شئ قبل أن يحدث منك هو بالفعل « مكتوب » أو هو « قَدَر » ، ولكن مكتوب أنك ستفعل بمحض إرادتك كذا وكذا وكذا ، وسيكون الناتج كذا وكذا وكذا ..! أى لم يتحكم فيك هذا النوع من القدر أو المكتوب ، ولكن ما فعلته أنت لم يجبرك عليه أحد ، ولذلك عليك بتحمُّل كل النتائج بلا « شمَّاعة » تُسمِّيها مرة « **قدر** » ومرة أخرى « **مكتوب** » ...!

(ب) تقدير تدبير وفعل ...

ومن أبرز أشكاله ... التى يمكننا أن نتأمل فيها ...

ب/١- قدر التأصيل

وهو الخاص بكل ما سبقت فيه كلمة الله - تعالى - فكان ، من خلق السماوات والأرض والليل والنهار والكواكب والنجوم والكائنات ... ووضع كافة القوانين والسُّنَنَ الكونية ... الخ أى أن قدر التأصيل يخص أمر الله - تعالى - فى إظهار كونه بكل قوانينه وعناصره للوجود أو لحيز الفعل والأداءات التى صُمِّمَ من أجلها .

وعلى هذا فعناصر الكون الذى نعيش فيه هى عناصر « مُسَيَّرة » لأداء ما أراد لها الله - تعالى - وإلى ما شاء الله ... وأنت - فى هذا المناخ الكونى « المُسيَّر » - تحيا فى نعمة عظمى من ربك تعالى .

لماذا ؟!

لأنه لو كان للعناصر الكونية المختلفة « اختيار » فى تفاعلها معك ، لرفضتك حيناً وقبلتك حيناً ! . ولأظلمت - مثلاً - الشمس واختفت فترة ولأسباب قد تراها هى منطقية ... مثلاً أن البشر لا يستحقون ... لسوء ما يفعلون !! ... ولهلكتَ أنت بالصقيع ولأظلمت بك الدنيا ...!!

ومن أمثلة قدر التأصيل أيضاً هيأتك وتركيبتك العامة ، التى تحتوى على أجهزة عضوية معينة ... مخ .. قلب .. عضلات .. معدة .. أمعاء .. كبد .. إلخ .

وكذلك الطبيعة والخصائص الشكلية العامة والتشريحية الخاصة لكل جهاز أو عضو بجسمك ... مثلاً .. عيناك ذواتا فتحتين أفقيتين وليستا رأسيتين ! ... يدك تحتوى على خمسة أصابع وليست أربعة أو ستة ! ... فهذا تسيير لا اختيار لك فيه . وكذلك - كما قلنا - تسيير عمل المخ والقلب والتنفس حفاظاً على حياتك يقظاً ونائماً ... كل ذلك أمثلة على قدر التأصيل والذى سبقت فيه كلمة الله تعالى ، أمراً وقضاءً لاراد له . فكان كل شئ كما أراد هو سبحانه ... وهو تسيير نفع لك ، وليس من أجل قهرك وإكراهك ...

لا ... فهو لنفعك أولاً وأخيراً ... سواء تسيير الكونيات حولك أو تسيير أجهزتك ... وإلا لو كان لديك اقتراح بأفضل مما صَنَعَ وقَدَّر أحسن الخالقين ... سواء فى نفسك أو فى الكون حولك ... قُلْـهُ من فضلك !!!

ب/٢ قدر الإظهار

كما سبق وأن ناقشنا كيف مَرَّت كل النفوس بمرحلة كونها مفردات فى علم الله القديم الأزلى ، ومرت بعد ذلك بمرحلة التحقق الأولى من خلال مرحلة الخلق العادل المساوى بينها ، ثم انتهاءً بالتشكُّل الذى صارت إليه بعد عرض كل المعانى والممكنات عليها . وكما قلنا فهو « تشكُّل حُرّ » لايشوبه قهر أو إكراه ، لأن هذا التشكل إنما يصيغ لكل نفس حقيقتها أو شاكلتها ، التى هى أنا وأنت وهو وهى ...

وكما ذهبنا إلى أنه بخلق آدم ﷺ ، أن انتمت كل النفوس لعالم الذُّرِّية والتى تنتهى بالميلاد لأب وأم فى زمان ومكان ...

وذهبنا إلى أنه بمطلق حكمة وعدل ربنا تعالى يتم توظيف كل نفس مُتَشَكِّلة ... التوظيف الأمثل زمانياً ومكانياً وانتساباً لأم وأب بالميلاد ... من خلال منح كل نفس متشكِّلة هبة وجودها النهائية ...

وأنت هنا تعتقد أنك وجدت نفسك اضطراريا ابن فلان وفلانة وفى ظروف كذا وكذا وكذا ... أى أنك أُجْبِرتَ على أن تكون كذلك !

هذا وإن كان إخراجك النهائى بالميلاد لأب وأم فى زمان ومكان وظروف معينة هو ما نقصد به « قدر الإظهار » إن كان هذا القدر من صميم صنعة الله تعالى ، والذى يظهر من كافة مظاهره العامة أنه قرار تسيير لا اختيار لك فيه . إلا أنك « باختيارك » الذى ساهمت فيما أنت فيه . كيف ؟!

لتقريب المعنى سنضرب مثالاً إيضاحياً ...

إفترض أن هناك طالباً فى الثانوية العامة ، فهو ترقى فى نظام التعليم ووصل إلى ما هو فيه لإتمام اجتياز نقطة معينة وهى صاحب قرار توجيهه بمستقبله إلى حيث سيكون ... والمجالات مفتوحة ...

فهذا الطالب يعلم أن هناك تحصيل معلومات وعلوم ، وأنه لابد من الإجتهاد ، ولابد من التعامل مع الموقف بما يؤهله لأن يكون فى أفضل ما يريد لنفسه ... وحصل هذا الطالب على مجموع معين ، أهَّلَهُ للإلتحاق بكلية معينة بإحدى الجامعات ... فهل إذا اشتكى الطالب بعد ذلك من المناخ العام والمواد الدراسية والأساتذة والمواصلات ...! ... هل له أن يدَّعى أنه مقهور ومغلوب علي أمره وموجود فيما لا يحب ولا يريد ، وهو لم يشارك فى اختيار وجوده فى هذه الكلية أو الجامعة ؟

هل نقبل منه مثل هذا الإدعاء ؟!

بكل تأكيد ... لا يمكن قبول ادعائه ... لماذا ؟

لانه بمحض إرادته - وككل زملائه - تواجد فى مجال الثانوية العامة ، وهو يعلم أنه بما يُحَصِّلُهُ ويستعد به ، إنما يُشارك فى صُنْع كيفية وجوهر وجوده التالى بعد الثانوية . وهو بناتج ممارسته ، لم يكن له وجود أفضل من جامعته التى استقبلته . ويكون هو باختياره قد شارك جوهرياً فى وجود نفسه بهذه الجامعة وفى هذا التخصُّص ...

كان هذا مثالاً لتقريب المعانى ...

وعودة لنقطة نقاشنا ، فإن « قدر الإظهار » من خلال التواجد لأب وأم فى زمان ومكان بالميلاد . مثل « الجامعة » التى تستقبل « طالب الثانوية العامة » وتكون كل نفس متشكلة تشكلاً حراً إختيارياً ، تكون قد ساهمت فى تحديد جامعتها أو ملامح وجودها الأرضى ، والذى قد يبدو من ظاهره أنه مناخ مفروض من الله تعالى علينا بلا مشاركة لنا فيه من قريب أو بعيد .

ولكنه ليس إلا ظاهر تسيير فى باطنه تمام التخيير .

فالله سبحانه وتعالى يُسيِّـرُكَ فيما اخترت ... كيف ؟

أى أنه بعد كامل اختيارك وأنت نفس أثناء التشكل كنت حراً واخترت ، فَصَنَع لك الميلاد والوجود الأمثل المتطابق مع ما اخترت ، فكان أن وجدت نفسك فى ظروف حياتية معينة صنعها الله لك وحولك ، فاعتقدت أنه فرضها عليك فرضاً وسيَّرَكَ بها .

لا فهو يُسيِّرَكَ بها بموجب اختيارك ، ولأنها أمثل ما يطابق اختيارك والذى صار فى نمط يسمى « شاكلة » . فهو سيرك فيما اخترت أنت أو أنك « **مُسيرٌ فيما اخترت** » ...

ويكون المناخ التسييرى الظاهرى المحيط بك بمثابة المُحَدِّدَات والمتغيرات الخاصة والعامة التى تُكَوِّن محيطك الذى تتحرك أنت فيه .

وتكون أنت « مُخَيَّراً » فى حيز المحددات والمتغيرات المحيطة بك . ولا تنس انضباط معادلة منتهى العدل الإلهى معك إعطاءً ، دنيا وآخرة ...

ب/٣ - قدر الجود والرحمات

وهو تقدير الله تعالى المُظْهِر لتجليات وهابيته ورزاقيته وجُوده وكرمه وغناه ومراحمه لعموم خلقه ... فهو قد قَدَّر - ضمن ما قدر - للأرض أرزاقها ، وكل مجتمع أو دولة ما ... لابد وأن تكون مستقرة على سطح مكان ما فى الكرة الأرضية . ذلك المكان قَدَّر له الله تعالى سابقاً مجمل رزقه ينضح به لأصحابه متى كانوا أهله وسكانه .

فتجد تلك الدولة غنية أراضيها بكذا وكذا... والأخرى بكذا وكذا ... والثالثة.. الخ. وذلك تقدير وجُود ورحمات على وجه العموم . ومن أمثلة تقدير الجود والرحمات على وجه عام أيضاً ... نزول شريعة سماوية من الله تعالى رحمة منه بعباده أو سقوط الأمطار ... ظهور علماء ... الخ .

وعلى المستوى الفردى الشخصى تجد عمل « قدر الجود والرحمات » من أرزاق بمفهومها الشامل ، وصِحّة ، وقبول توبة ، واستجابة دعاء ، وقبول لدى الناس وأمن من خوف ... إلخ .

وعلى مستوى المجتمعات والدول فالأمر « تسيير » من الله سبحانه وتعالى ، ولا مجال لتلك المجتمعات أو الدول فى أن تختار فيما وجدت نفسها عليه . ولكن هى « مُخيَّرة » تماماً فى التعامل مع ما تم « تسييره » ... فهى حرة أن تبيع وتصدر فوائض محصولاتها الزراعية وعملياتها الإنتاجية أو أن تلقيها فى البحر ... مثلاً ... ! هي مجتمعات حرة فى أن تستفيد بما وهبها الله تعالى أو لا تستفيد ...! إذن **فالمجتمعات " مُخيَّرة " فيما " سُيِّرَت " فيه ...**

وعلى المستوى الفردى ، وقبل أن « تُرزَقَ » فإنه لابد وأن تأخذ بالأسباب .

فأنت تعلّمت وتخرَّجت فى إحدى الكليات وعملت بإحدى الوظائف . أو أنت تعلمت حرفة معينة وتجيدها ... تلك هى اختياراتك وأنت فيها تماماً « مُخَيرٌ» ... ولكن عملك هو مجرد أسباب وليس هو رازقك ! .

فأنت حين تعمل بمهنتك أو بوظيفتك إنما تفسح المجال لرزَّاقِّية الله تعالى كى تعمل فيك ... فأنت تعمل لدى الكريم ذى الجود والإحسان الحنان المنان الغني الوهاب ... تعمل لديه فى كونه ... فى أرضه ... تأخذ بأسبابه ... تتفاعل مع نظمه وشرائعه وقوانينه ... فأجرك إذن ليس من أحد سواه ... فأنت تعمل لديه فى ملكه ... وأجرك إذن عليه ... ولو كنت تعمل لدى بخيل لكان لك أن تخشى أن يقتر عليك لكنك تعمل لدى الكريم – سبحانه – وهو يعطى كرماً وجوداً وليس لما يساويه عملك ...!

ولئن ناديته لوجدته ... ولئن سألته لأعْطِيتَ ... فاقرع بابه يفتح لك ... وادعه يستجب لك ...

فأنت اخترت الأسباب والعاطى هو رب الأسباب ، ولا اختيار لك فيما يعطى العاطى الكريم ، وعطاؤه لك يشملك دنيا وآخرة ...

ولذلك فأنت فى قدر الجود والرحمات ... قد اخترت فقط الأسباب وأخذتَ بها ، وعَملَتْ فيك - بعدها - تجلّيات وهّابية ورزاقية وجود وكرم وغنى ورحمة ربك تعالى ، كما يليق بربك تعالى ، وعلى قدْره هو ، وليس كما تختار أنت .. وليس على قدْرِك أنت .

إذن فأنت « مُسيَّر » بتجليات رزاقية وكرم وغنى ربك فيما اخترته أنت من أسباب . فأنت هنا " **مُسيَّر فيما اخترت** " ...

وكذلك فأنت تدعو وتأمل فى إجابة دعائك ... وأنت « مخيَّر » فى أن تدعو أو لا تدعو !!!

والإجابة لا اختيار لك فيها ... وأنت تأخذ بأسباب العناية بصحتك وأنت مخير فى هذا ، ولكن ليس سبب دوام صحتك هى أسباب العناية التى تأخذ أنت بها ...!

ب/٤- قدر الدفع

هو تقدير الله تعالى فى دفع الناس بعضهم ببعض لإعمار الأرض أو لنَقُلْ إنه " **تقدير التنسيق والتوفيق** " بين الناس بعضهم وبعض ، وبين الدول والمجتمعات . حتى يحتاج هذا لذاك وتحتاج الدولة لغيرها ، وتعمل فيهم حكمة ربهم تعالى " **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين** " (١) .

فتلك الدول - مثلاً - غنية فى آبارها البترولية ، والأخرى فى مناجم المعادن ، والثالثة فى أراضيها الزراعية الجيدة ، والرابعة ... الخ . وهو ما يُسْنَد لقدر الجود . وعلى هذا لا تجد أن هناك مجتمعاً ما أو دولة معينة تستطيع أن تكون كياناً مستغنياً عن كل الكيانات الاجتماعية والدولية الأخرى . وبالمثل على مستوى المجتمع الواحد لن تجد الإنسان ذا الكيان المستقل الكافى نفسه كل احتياجاتها ...

وبمعنى أن الله تعالى صمّم كونه وأرضه على أساس " **الدفع المتبادل** " بين الانسان وأخيه ، وبين الدولة وبقية الدول ... وعلى أساس « مبدأ المنفعة المتبادلة » .

فلو أنه سبحانه وتعالى أغلق كل مجتمع أو دولة على ذاتها وأعطاها كل عطاياه وبما لا يجعلها تحتاج مجتمعات أو دول أخرى ، لصارت كل دولة كرة أرضية مستقلة ولانغلقت على ذاتها . ولكن حكمته تعالى ، أن تعمر الأرض بخلقه تنسيقاً وتوفيقاً وتعارفاً . " **وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا** " (٢) .

---

(١) البقرة ٢٥١ .

(٢) الحجرات ١٣ .

ولكى يعرف كل مجتمع كيف ومن أين يُوفِّى باحتياجاته ، عليه بالتعرف على المجتمعات الأخرى ، وما بها من مميزات وخيرات وفوائض ونواقص ، وبناء على تلك المعرفة يمكن أن يحدد كيفية الاستفادة بما لديه وبما لدى الآخرين . وقد ذهبت بعض المجتمعات - ومازالت - إلى أنه للاستفادة بخبرات مجتمع ما ، فلا بد من احتلاله لنهب وسلب كافة خيراته وإن كانت قد هدأت هذه النظرة الهمجية فى عصرنا الحالى ، وحلّت محلها نظرة السيادة المستقلة للدول ، وتبادل النفع سلمياً .

وبالمثل لو أن الله تعالى خلق الانسان مكتفياً بنفسه مستغنياً عن كل شئ واحد ، لصار كل انسان دولة مستقلة ذات سيادة ...!! وهو طبعاً ما لا تنصلح به الأرض ، ولا المجتمعات ، ولا الناس ... لذلك كان وجوب تقدير الله تعالى ... تقدير الدفع أو التوفيق والتنسيق ...

هذا ويمكن تناول « تقدير الدفع » أو « قدر الدفع » من منظور القرار أو الحُكْم النهائى من الله سبحانه وتعالى ، والذى لم يتدخل فيه الانسان مختاراً ، لأنه ليس لإختياره دور ما فى صناعته أصلاً . فالإنسان لم يكن باختياره أن تكون اليمن والبرازيل هما المنبع الرئيسى للبن مثلاً ، ولم يكن باختيار الانسان أن تنضح آبار بترول الخليج بما هو فيها الآن إنتاجاً ومخزوناً ... وقِس على ذلك كل شئ وبالمثل على المستوى الفردى أو الشخصى للإنسان .

فنظرية « الدفع الإنسانى » كنظرية حاكمة أو كقانون حاكم لمسيرة الانسان - منذ بدايتها وإلى أن يشاء الله تعالى - هى نظرية سيادية من الله تعالى ، ولا تدخُّل للإنسان فيها . وهذا هو جزء « التسيير » أو ما يتعلق بصناعة « القانون » ، « قانون الدفع الإنسانى » ... ولكن الإنسان كفرد أو حكومات هو **" مُخَيَّر فيما سُيِّر فيه "** .

كيف ؟

فبالرغم من أن الإنسان قد وجد نفسه هكذا محتاجاً - دائماً - للآخرين ، وكذلك الحكومات والمجتمعات والدول . إلا أن هذا الإنسان - أو الحكومة أو المجتمع أو الدولة - هو « مُخَيَّر » فى التعامل مع حيثيات قانون الدفع . فهو يمكنه أن يكون محامياً أو مدرساً أو تجاراً أو مطرباً أو سارقاً ... الخ فى هذا النظام العام لقانون الدفع . فقانون الدفع هذا ، إنما يستوعب كل المتناقضات الإنسانية لإحداث التكامل المطلوب .

فإما أن تكون هذا المحامى ولك دور وهناك احتياج لك وأنت تحتاج الآخرين ، وإما أن تكون ضابطاً أو نجاراً أو سارقاً ... ومهما كنت ... ستكون أحد المفردات الأساسية التى يحتاج إليها النظام الإنسانى العام للدفع . وقد تقول لى وهل المجرم أو السارق مفردة أساسية يحتاج إليها قانون الدفع أو النظام الإنسانى العام ؟

نعم ...! ... كيف ؟

هذا المجرم مثله مثل الميكروب أو الفيروس الضار ... فما فائدة الإثنين ؟!

إن الميكروب أو الفيروس وإن كان يمثل أحد عناصر ومكونات التعادل الكونى العام ، إلا أنه من منظور قانون الدفع ، لابد وأن يكون هناك مريض فى وقت ما ، ولابد أن يكون هناك طبيب وصيدلية وشركة أدوية وعاملون بالصيدلية وشركة الأدوية وكلهم أصحاب أُسر واحتياجات . فأنت تمرض بسبب وجود ميكروب أو فيروس وهو لك « اختبار تسييرى » من الله تعالى .

ويعلِّمك فى مرضك ، ويسمع صوتك لو كان صوتك لا يصله وأنت مُعافَى ! ... ويغفر لك من ذنوبك ... إلخ .

فحتى الميكروب أو الفيروس أنت مستفيد به ومعك الملايين من الناس ! ... وكذلك الميكروب أو الفيروس البشرى ... المجرم ...! فهذا المجرم يسبب لك « التوتر » و « القلق » و « الترقب » و « الخوف » ... الخ .

وهى ضديّات للاستقرار والأمن والطمأنينة ... ولابد من **الضدّيّة المُنَسّقَة** أو المتعارضات المتكاملة ... الخير ... والشر ... المرض ... والصحة ... الأبيض والأسود الخ .

فهو اختار بمحض إرادته أن يكون هكذا فى ظل النظام العام ، ومن أجله تواجد الضابط والشرطى وقسم الشرطة والمحامى والقاضى والمحكمة ... الخ .

ستقول لى ولكى يوجد الضابط وقسم الشرطة والمحامى والقاضى ... أتوتر أنا وأفقد أعصابى وأخاف ...!

... ومن أدراك أن خوفك هذا ليس من مُكوِّنات قانون الدفع ؟!

... فَلأن هناك من يخوِّفك ... ستكون أكثر « احتياطاً وحيطة وحذراً » ، ولربما هذا درس يريد لَك الله أن تعلمه . ثم من أدراك أن مجرد خوفك لا يشابه مرضك ... وأن الله تعالى سيسمع صوتك لحظتها ولأنك ربما تكون قد نسيت منذ زمن أن ترسل له رسائلك ...!

والفرق هنا بين الميكروب والمجرم أن **الميكروب هو " خادم مُسيَّر"** لمشيئة الله تعالى . ولكن المجرم هو **" خادم مُخيَّر"** لتلك المشيئة ، ولو أراد هو نفسه لكان شخصاً آخراً ... فهذا المجرم آثر أن يحصل على احتياجاته بطريقة « القوة والسلب » ، وليس بالشكل الشرعي لسدِّ الحاجات . فأساس تحركه هو حاجاته وليس حباً فى الإجرام ... سرقة ... قتل ... الخ . لا ليس حُبّاً فى الإجرام كان تحركه وكونه فيما هو فيه ، ولكن إشباعاً لاحتياجاته بأسلوب غير شرعى فهو متفاعل إذن مع قانون الدفع ، ويعلم أنه غير مُكْتَفٍ بذاته ، ولكن مساراته غير شرعية .

ويتساوى هذا المجرم الفرد مع المجرم لو كان « مجتمعاً » أو « دولة » . فقد تُؤْثِر بعض الدول القيام بالدور الإجرامى فى سد حاجاتها وأطماعها ... وهذه الدولة « المجرم » ، كما أن الفرد « مُخَيَّر » فى التفاعل مع قانون الدفع ، هى أيضاً « مُخَيَّرة » فى ذلك التفاعل ، وبدليل أنه كان يمكنها أن تحصل على ما تريد بالشرعية ...

ب/٥- قدر الرحمات التذكيرية

وهو تقدير ربنا تعالى أقدار رحمات لعباده ، لتذكيرهم بما فاتهم ولتبصيرهم بما أُغمضوا هم عنه عيونهم أو أُغمِضَت عنه عيونهم .. رحمة من ربهم الرؤف الرحمن الرحيم .

وعلى المستوى الشخصى الفردى ... قد يجدها الإنسان فى مرض مفاجئ يُلِمّ به ، علَّه يتذكر ما نسى ويرجع عما هو فيه . وقد يكون اختبار حب من حبيب لحبيب ، ليرى ربك مقامه فى نفسك وقلبك ، ويغفر لك ذنبك ويُعْلِى لك قَدْرَك ... وتَذكَّر أن عطاء ربك غير محدود فقط بالدنيا . وقد يكون تقدير ربك نقص أموال يصيبك ... ليرى حال حمدك وشكرك وليعرف قدر حبك ... هل فقط تحبه وأنت غنى ...؟!!

وفى كل هذا وغيره ... لا اختيار لك فيما تمر به ... وثِقْ أن هذا التسيير رحمة وحب، حتى وإن كان فى ظاهره قسوة ، ففى باطنه تمام ومطلق رحمات وحب ربنا الله تعالى ...

وعلى المستوى الإجتماعى والدولى قد تشهد المجتمعات والدول أيضاً تلك النوعية من الرحمات التذكيرية ... فيضان ... زلزال ... مجاعة ... نشوب حرب ... والتى أيضاً تحمل قسوة ظاهرية ولكن منتهى الحب والرحمة جوهرياً ... فليس المقصود إلا التذكير والرجوع العام عما يحيا فيه المجتمع ، ولكى تكون كلمة جماعية ... « يا رب » ... إنه تعالى - رحمة وحباً - يريدهم أن يعودوا إليه ... ألاَّ تستغرقهم أنفسهم ويلهيهم الأمل ... ويضلوا الطريق إليه ...

وقد يأخذ « قدر الرحمة التذكيرية » شكل « قدر الجود والمراحم » فى الناتج النهائى . فمن الممكن أن يكون قدر الرحمة التذكيرية فى شكل « عَالِم » أو «داعية » خادم لله ولرسالته يُذكِّر الناس ويُجْرِى الله على يديه خيراً كثيراً ...

وقد يكون التذكير فى شكل خرق للعادة ، مثلما تتم بعض المعجزات الخارقة لكل مألوف على يدى بعض عباد الله الصالحين من شفاء أمراض إلى غرائب وعجائب لا يألفها العقل البشرى بسهولة ... كل هذا وليس للفرد أو المجتمع اختيار فيه ... لكنه تسيير رحمات للتذكير .

ب/٦- قدر النهائيات الحتمية ...

وهو تقدير الله تعالى وإجراؤه لقانون حتمى التطبيق مثل الموت فهو نهاية حتمية لكل كائن كان ...

وعلى المستوى الفردى فليس الموت بعقوبة ، لكنه إعمال لقانون حتمى التطبيق ، وهو نهاية حياة الإنسان على الأرض ، وإفساحه المجال لآخر يحتلّ مكانه لاستكمال مسيرة البشرية إلى ما شاء الله ولا دخل للإنسان ولا اختيار فى دفع أو تأجيل الموت ... « **كل نفس ذائقة الموت** » .

فالموت إذن سُنَّة طبيعية تجرى على كل حى مخلوق ... وهو ليس بعقوبة ... ولكن ... قد تكون أسباب الموت فى شكلها العام عقوبة لكى يعتبر من له عقل وعينان ...!

فمثلاً ... قد نرى نهاية طاغية ... من خلال قتله بشكل بشع ... وقد ترى ذلك جماعياً ... كما فى تلك المدن التى خسف الله تعالى بها ...!

وعموماً ... لا اختيار لإنسان فى الموت ...

ب/٧- أقدار لا يعلمها إلا الله تعالى ....

كان أن تأملنا فيما يمكننا أن نفهمه عن أنفسنا وما وحولنا ، ولكن ما لا نعلمه أكثر وأكثر ... ولذلك كان ما فى علم الله تعالى أعظم وأعظم وأعظم ....

... « **سبحانك لا علم لنا إلاَّ ما علَّمْتَنا** » ....

وتبارك ربنا تعالى القائل « وما أوتيتم من العلم إلاَّ قليلاً » ..

و « سبحان ربِّك ربِّ العِزَّة عما يصفون » ...

....

● التأمل التاسع ●

يُضِلُّ مَنْ يَشَاء وَيَهْدِى مَنْ يَشَاء ...!!

لقد سبق وأن قلنا أن المشيئة الإلهية ، إنما هى الخاتم والتصديق الإلهى على كل فعل فى أى زمان ومكان من أى كائن كان . وذكرنا أن الأفعال الإلهية ، إنما مردها لإرادة الله تعالى ومشيئته ...

وعن أفعال البشر ....

فللإنسان - كما خلقه الله تعالى - مشيئة وإرادة فيما له فيه اختيار . ومشيئة الله هى الخاتم والتصديق الإلهى على إرادة ومشيئة الإنسان حتى يصدر عنه الفعل البشرى أو الإنسانى فى حيِّز التنفيذ والأداء ات .

فالإنسان فيما هو « مُخَيَّر » فيه ... إنما هو صاحب إرادة ومشيئة ، ولكن كما قلنا ... ولأن الإنسان ليس هو المفردة الوحيدة على سطح الكرة الأرضية ولكن مثله بلايين وبلايين المفردات الإنسانية ، وجب أن تقوم المشيئة الإلهية بالتنسيق بين إرادة ومشيئة هذا الإنسان وبين :

١- بلايين وبلايين الإرادات والمشيئات الإنسانية الأخرى .

٢- قرارات وأحكام السيادة الإلهية ، والتى لها طابع التسيير كما رأينا فى حالات معينة ...

وبالتالى تقوم المشيئة الإلهية بالتصديق الفورى على قرار المشيئة الإنسانية لطالما لم يصطدم بأىٍّ مما سبق . ولئن كان هناك ثمة تعارض ما ... مع أى أو كل من النقطتين السابقتين ، تُوجِّه حكمة الله تعالى مشيئة الإنسان للبدائل الأخرى الممكنة ، ولا تقهر « تخييره » ولكن تُرشِّد وتُعَدِّل مساراته ... لعدم الإطاحة بمشيئات الآخرين و/ أو التعارض مع أحكام القضاء الإلهى واجبة نفاذ المفعول ، أو تلك التى لم يحن وقتها بعد ... فهو مازال « مُخَيَّراً » ، ولكن فى بدائل أخرى ، مثلاً هى لا تطيح بـ ... أو تلغى أو تعطل مشيئات الآخرين ...

فالأساس إذن فيما أنت مُخَيَّر فيه ... هو عين اختيارك . وتجاوب المشيئة الإلهية معك هو كما ذكرنا إما للتصديق أو إعادة التوجيه لبدائل ومسارات أخرى لا تَقِلّ إن لم تكن أفضل لك ... ولكنك لو علمت وفحصت جوهر الأمور ... لشكرت ربك تعالى ... لأنك كنت ستكتشف فيوضات رحماته فيما وجَّهَكَ إليه . ومازلتَ أنت فى قبول

توجيـــهـه لك ... « مُخَيَّراً » ... بدليل ... إمكانيـة عدم قبولك أو تنفيذك لأى بديل مطروح عليك ...!!

إذن فمجمل القـــول أن مشيئة الله تعالى هى خاتـــم إلهى يُؤَمِّن على مشـــيئتك التى تشاء ها أنت باختيارك . إذن فاختيارك أولاً ومشيئة الله تعالى ثانياً ... كيف ؟

نعم ...

فعلمه تعالى قديم أزلىّ ، مكتوب فيه ناتج اختـيارك ومـراد إرادتـك ورغبة مشيئتك ... ولكن لن تبادر المشيئة الإلهية وأنت تجلس مثلاً فى بيتك مُضْرِباً عن الحياة أن تُسَيِّرَكَ لعنوان معين بحى كذا شارع كذا منزل رقـم كـذا شقة رقم كذا ... للزواج من الآنسة فلانة ...!!!

لا .. لن يحدث هذا ...

إختيارك أولاً .. إرادتك أو مشيئتك ... وبعدها خاتم التصديق الإلهى بمشيئة الله تعالى ، لكى يرى مرادك النور ... ولك ... فيما أنت فيه « مُخَيَّر » ما أحببت ... وعلى مستوى القضية الإيمانية ... قدر التسيير الوحيد فيها ... هو نزول رحمات ربنا تعالى فى صورة رسائل وشرائع سماوية ... ولكن أن تؤمن أو لا تؤمن فذاك اختيارك وعمل إرادتك أو مشيئتك ... وبعد أن تعـمل مشـيئتك - تُصَدِّق عليها المشيئة الإلهية بخاتمها ... ولك ما أردت ...

فهناك مـن افـترى على الله كذباً ، زاعماً أنه تعـالى يُسَيِّر قومـاً للإيمان وآخرين للعصيان .... تعلُّقاً بآيات قرآنية ... مثل .. "**يُضِلُّ مَنْ يَشَاء ويَهْدى مَن يَشَاء**" ...!!

زاعمـين أن مشيئة الله هـى المحرك الأول والأخيـر فى القضيـة الإيمانيـة وبمعنـى « تسيير » البعض للإيمان و « تسـيير » البعض الآخر للكفر أو الضلال والعياذ بالله ، ويقابلها أيضاً فى التوراة "**يُقسِّى مَنْ يشاء ويُرحِّم من يشاء**" ...

ولكن ليفهم الجميع أنه لو « سَيَّر » فى الإيمان فلم يُجازِى ويُكافئ عليه ؟!!!

وإن كان « يُسَيِّر » فى الكفر والضلال - وحاشا لله - فلم يعاقب ويُعذِّب عليه ؟!!

... إن الأمر بمنتهى الوضوح ... هو "**نظرية تلفيق المُـبَرِّرَات**" ... تلك التى يحتاجها الفشلة المُهَرْطِقُون ، لكى تكون خلاصهم من ضعف نفوسهم وعبوديتهم للخطيئة ... **يفترون على الله كذبا** ... وهو إن كان مُسيِّرهُم فى الكفر والإيمان ، فلِمَ تكون الرسالات والرسل والأنبياء والجنة والنار ... الخ . لكان - إذن - كـل هذا عبث وهـراء ... وسبحانه وتعالى مـا خلـق شيئاً باطلاً ...

ولكن إن أردت فهم .. « **يُضلُّ مَنْ يشاء ويهدى مَنْ يشاء** » ... فأعْمِلْ فيها كل ما فهمته فى « التسيير » و « التخيير » و « المشيئة » .

ببساطة ...

من يشاء الهداية من الناس وتلك مشيئته الشخصية وباختياره تُصَدِّق عليها بخاتمها مشيئة الله تعالى . ومن يشاء الضلال من الناس وباختياره تُصَدِّق عليها بخاتمها مشيئة الله تعالى ... وعلى هذا وبعد أن عملت مشيئة الله تعالى ، يحق له سبحانه أن يقول أنه بمشيئته ... اهتدى فلان ... وبمشيئته ضَلَّ فلان ... ولكن لم تكن مشيئة الله هى المُكْرِه المُسَيِّر ولكنها كانت المُصَدِّق بخاتم المشيئة الإلهية على حُرِّ اختيار الإنسان ...

وكأن «**يُضلُّ مَنْ يشاء ويَهدى مَنْ يشاء** » إنما تعنى ...

تُصَدِّق مشيئة الله على مشيئة الإنسان الراغب فى الهداية وتُنفِّذها له ، وتُصَدِّق على مشيئة الإنسان الراغب فى الغواية وتنفذها له ... ولا تعنى إطلاقاً ... فقء عيون الناس وإلغاء عقولهم وتعطيل اختيارهم ومحو شاكلة نفوسهم ... وإرغامهم على أن يكونوا أبراراً أو خُطَاة . لو كان الأمر كذلك ... لما كان لخلق الإنسان معنى أو سبب ، ولاكتفى الله تعالى من خلقه بمن هم أبرار بلا قدرة على المعصية ... كالملائكة ... ولاكتفى فى وجود نقيضهم من الأشرار ... بوجود الشياطين ...!!

لا ... **ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك** ...

وانظر معى تأكيد ذلك ...

« **فلما زاغوا ، أزاغ الله قلوبهم** » .... (الصف : من ٥)

أنظر ... « فلما زاغوا » ... إذن هم - مجموعة من الناس - بمحض إرادتهم واختيارهم وبمطلق مشيئتهم قد « ضلوا » أو « زاغوا » عن الطريق ... وقد اختاروا الضلال لهم سبيلاً . فماذا تفعل مشيئة الله ؟!

لطالما أنه لا تَعَارُض - كما قلنا - مع مشيئات الآخرين ولا مع أحكام قضاء إلهى ... ستُصَدِّق عليها مشيئة الله تعالى ، ولصاحبها ما أراد .

فكيف صَدَّقَتْ عليها مشيئة الله تعالى ؟!

... « **أزاغ الله قلوبهم** » ... ذلك هو تصديق مشيئة الله تعالى على مشيئة الذين « زاغوا » باختيارهم وإرادتهم ...

ويستوي ذلك مع « **خَتَمَ الله على قلوبهم وعلى سمْعِهم وعلى أبصارهم غشاوة** » .

خَتَمَ ... بمعنى طبع وأغلق ، وصارت بذلك قلوبهم وحواسهم مختومة أى أُغْلِقَتْ على ما هى فيه واحتجبت به عن الحق ...!

فهل فَعَلَتْ مشيئة الله تعالى هذا من تلقاء نفسها ... لا واللهِ ...!

إنها حُرُّ إرادة ومشيئة أحبت العمى عن النور ، فصدَّقت عليها مشيئة الله بخاتمها ...

وأنظر معى لعين وجوهر التخيير ...

.. « **إنَّا هديناه السبيل إمَّا شاكراً وإمَّا كفورا** » .... (الإنسان : من ٣)

فها هو ربنا تعالى يسترجع مع الإنسان فضله عليه ، إذ عَلَّمَهُ وهداه إلى كل المعاني والممكنات ، وعرَّفَه الحق ... وخَيَّره إما أن يكون مؤمناً شاكراً أو جاحداً كافراً ... « إمّا شاكراً وإمّا كفوراً » ... أى للإنسان مشيئته وإرادته ومطلق اختياره الإيمانى ...

وكذلك .. « **فَمنْ شاء فليؤمن ومَنْ شاء فليكفر** » .... (الكهف : ٢٩)

إذن ها هو الإعلان الإلهى الدامغ أن لك حرية مشيئة واختيار ...« **مَنْ شاء فليؤمن** » باختياره ... « **ومَنْ شاء فليكفر** » بارادته واختياره ...

أفئذا جاء الله بعد ذلك وختم بتصديق مشيئته على ما أراده عباده باختيارهم ، يقولون هو الذى هدى هؤلاء وهو الذى أضَلَّ هؤلاء ... هَدَاهُم الله ...

إنك فى القضية الإيمانية تتحرك بمطلق التخيير ، ولا تسيير إلا لما اخترت ... فأنت « **مُسيَّر فيما تختار** » ... لئن اخترت الايمان ... سيُّركَ الله فى الإيمان الإختيارى بتصديق مشيئته ، ولئن اخترت الضلال ... سيرك الله فى الضلال الإختيارى بتصديق مشيئته ، أى أنك « **مُسَيَّر فيما اخْتَرْت** » ... فى القضية الإيمانية ...

ولا تلومَنَّ إلا نفسك ...!

● التأمل العاشر ●

الخليفة لا يعلم ...!

... قال لى ... لو لم أكن إنسانا كنت أُفَضِّلُ أن أكون ملاكاً أو عصفوراً ...!

قلت له : تلك مشكلتك أنت ! ... لأنك تريد أن تغير خلقك لأنك تعبت !!

ومن قال لك أن الملاك - أىّ ملاك - لديه وقت فراغ ويحيا فى راحة أو أنه لا يحسدك عما أنت فيه لو كُنتَ تستحق ذلك منه فعلاً ...!

ومن أدراك أن العصفور - أى عصفور - يلهو ويلعب ويطير مغنياً طول الوقت !

من أدراك أنه ليس فى رحلة كد وسعى وطلب رزق وبحث عن أمن ... الخ .

ومن أدراك أنه لا ينظر إليك باعتبارك سيداً له ..؟!

إنك يا سيدى لا تعلم الدرجة الرفيعة التى أنعم الله تعالى عليك وعلى كل إنسان بها لكونك ولكونه إنساناً ...!

لقد قال تعالى ... « **ولقد كرَّمنا بنى آدم** » ، هل تعلم معنى أن يُكرِّم ربنا الله عبده ، إنه إن كرَّمه فإنما كَرَمُه بما يليق بأن المُكَرِّم رب إله ولنفحص معاً بعضاً من هذا الكرم .

لقد أبدع الله الكون فأحسنه ، وأقرَّ لكل شئ قوانينه فأحْكم ، ودبَّرَ لكل أمر أمره فيسَّره . وبذلك هيَّأ الكون تماماً لاستقبال المخلوق الأخير ... الإنسان ، والذى خُلِقَتْ من أجله وبسببه جميع المخلوقات علويها وسفليها .

وأعلن الله تعالى قراره لملائكته .. « **إنى جاعلٌ فى الأرض خليفة** » فماذا قالوا ؟! ... « **قالوا أتجعلُ فيها مَنْ يُفسِدُ فيها ويسفكُ الدماء ونحن نُسَبِّح بحمدك ونُقَدِّسُ لك ..** »

فبماذا رد عليهم الله تعالى ... « **قال إنى أعلم ما لا تعلمون** » .....(البقرة : ٣٠)

أنظر للقرار الإلهى ... « إنى جاعلٌ فى الأرض خليفة » ، أى يخلفنى فى تنفيذ قوانينى وأحكامى فيها . أنظر لمعنى الخلافة هنا إنها تعنى أن الإنسان هو الذى يَتسلَّم من الله مقاليد الأرض ويديرها بقوانين الله وأحكامه .

أنظر ... نحن خليفة الله فى الأرض ، أى نحن الذين نليه وكل شئ يأتى من بعدنا . نحن الذينْ نقوم مقامه على الأرض لإقرار قوانينه وأحكامه . إنها تعنى ثقة الله تعالى فى الإنسان ولذلك استخلفه . تَأمَّلْ رَد الملائكة وهم فى هذا الموقف ... « **أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك** » . إنهم يتحدثون عن سابق خبرتهم بساكنى الأرض القدامى من عالم الجن والذين أفسدوا فيها .

فالملائكة لا تتحدث عن الغيب أو عن الإنسان فى المستقبل ، ولكن تكلموا عن الإنسان بسابق خبرتهم ومعرفتهم بساكنى الأرض القدامى ، والذين طردهم الله وشتتهم فى كل ما ليس بعمار .

إن الملائكة لا يقصدون مجادلة الله تعالى ولكن يخشون أن يفعل هذا المخلوق الجديد غير المُجرَّب أو المعروف لديهم مثلما فعل سابقوه . ويخبرون الله – رغبة فى استقرار الأرض – أنهم أولى بهذه الخلافة فهم العابدون المسبحون الذين لا يفترون عن عبادته والتسبيح بحمده . قال لهم الله تعالى ".. **إنى أعلم ما لا تعلمون** .." . أنظر درجة ثقة الله تعالى فى الإنسان . إنى أعلم ما لا تعلمون . أى أنا أعلم بمن خلقت وبما قررت . فأنا خالقه ومُعِدُّه لهذه المهمة ، ولقد جَهَّزته بما يليق بخليفتى أى بالذى يلينى فى تنفيذ قوانينى وشرائعى فى الأرض . فبماذا جهز الله تعالى الإنسان لهذه المهمة ؟!

فى الحديث القدسى ... خلق الله تعالى آدم على صورته ، وفى رواية أخرى على صورة الرحمن ... والمقصود هنا بـ « على صورة الرحمن » ... أنه سبحانه وتعالى شَرَّف بنى آدم وكرَّمهم بمنحهم من صفاته لتمكينهم من تأدية دور الخلافة فى الأرض .

فالله تعالى قد جعل من الإنسان ... سميعاً ... بصيراً ... عالماً ... حكيما ... عادلاً ... رحيماً ... ذا بطش ... كريما ... الخ . وجعله ذا مشيئة ، وأعطاه سلطاناً على كل شئ ، ولم يجعل لشئ سلطاناً عليه . بل جعل من كل ما على الأرض أدوات لمشيئة الإنسان . يتصرف بها كما يشاء ، ولكن فى إطار دور الخلافة المحدد إن أراد أن يكون أهلاً لتلك الخلافة .

لقد حمل الإنسان أمانة خلافة الله تعالى فى الأرض وتطبيق شرائعه وتعاليمه ... تلك الأمانة التى عرضها الله تعالى على السماوات والأرض والجبال فَأَبَيْنَ أن يَحْمِلْنَها أى رفضن ذلك . ليس عصيانا لله تعالى . بل لأن العرض لم يكن مُلْزِماً ولم يكن أمراً قد صدر بالفعل ، وإلا لكان واجب التطبيق .

... " **إِنَّا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فَأَبَيْنَ أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً** "........... (الأحزاب : ٧٢)

أنظر لقد أشفقت السماوات والأرض والجبال من حمل الأمانة وتبعاتها لعدم ظلم نفسها فيما لا تستطيع أن تتحمل ... لقد حملها الإنسان ، أى أنها عُرِضَتْ عليه ووافق على أداء المهمة وهذا امتداد لمنتهى عدل ربنا الله تعالى .

وقد يتبادر للذهن تساؤل منطقى . وهو ، متى عُرضَتْ هذه الأمانة أو هذا التكليف ؟ وعلى من ؟ وهو ما ناقشناه قبل ذلك من جانب معين .

... إنه من منطق عدل الله تعالى أن يسأل من سيحمل أتستطيع أم لا تستطيع ؟ مثلما حدث مع السماوات والأرض والجبال ، وسبق أن تعرضنا لهذه النقطة .

ولقد أعَدَّ الله الإنسان بما يجعله مَكْمَن أسراره ومستودع نعمه وهباته . فكل إنسان ... أنا ... وأنت ... وكل إنسان ... نحن أقوى من السماوات والأرض والجبال . هكذا أبدعنا الله أقوى من الكُلّ ...!

وكما ذكرنا فى تَأمُّل « من نحن » ، أننا مررنا بمرحلة الخلق العادل المساوى بيننا جميعا فى كل شئ ، وتحولنا من مجرد حقائق أزلية فى علم الله تعالى إلى حقائق فى عالم السكون . ثم علَّمَنا الله تعالى كل المعانى والممكنات وبالتالى تشكلَّتْ تلك النفوس بحرية تامة وأصبح لكل منها شاكلته . ثم بخلق آدم ﷺ أصبح الجميع منتمياً إلى عالم الذُرِّيَّة .

ولطالما أنه تعالى قال .. ﴿ **إنى جاعل فى الأرض خليفة** ﴾ ، إذن فهذا قرار إلهى منتهى منه وبمعنى أن كل شئ قد تم ، أى عُرِضت الأمانة ووافق الإنسان على حملها .

لأنه لو كان الأمر مُتَعلّقاً بعلْم الله تعالى فقط ، فعلْمُه سبحانه مُحص محيط نافذ ، وبالتالى فقبل عرض الأمانة ، كان تعالى يعلم بإشفاق السماوات والأرض والجبال من حملها ، وكذلك كان يعلم مقدماً بموافقة الإنسان على حملها .

ولكن علم الله تعالى لا يحمل الإكراه أو الإجبار - كما قلنا - ولذلك فالمنطق هنا بجانب علمه تعالى ، هو منطق عدله المطلق .

ولذلك فلنا أن نتصوَّر ، أننا ونحن نفوس متشكلة فى عالم السكون - وكان آدم أيضاً مثلنا نفساً متشكلة - وبعد أن عَلَّمَنَا الله تعالى كل شئ ، عرض علينا جميعا الأمانة فوافقنا على حملها ... فكانت الخطوات التنفيذية بإخراج أول الخلق أبينا آدم إلى الوجود وبالتالى دخولنا لعالم الذرية ونحن موافقون بما عَرَضَ علينا ربنا تعالى وفى هذا الخصوص يقول الله تعالى .. ﴿ **وحملها الإنسان ، إنه كان ظلوماً جهولاً ..** ﴾ .

لقد أعد الله تعالى الإنسان تماماً لهذه المهمة . بل وأودع فيه من أسراره ما يجعله يحمل ما لا تستطيع حمله السماوات والأرض والجبال ، أعدَّه وعلَّمَهُ وهيَّأ له كوناً متكاملاً متناغماً . ونَصَّبهُ خليفة له فى الأرض . أى سيد لكل ما هو فيه ، سيد لكل الأشياء ولا سيد منها له .

... " **وحملها الإنسان ، إنه كان ظلوماً جهولاً ..**" .

إن الله تعالى يحدثنا بعلمه المحصى المحيط أن الإنسان « ظلوم » و « جهول » ولغوياً « ظلوم » صيغة مبالغة فى الظلم . أى أن الإنسان مبالغ فى ظلم نفسه بما حمل !

كيف ذلك ... والله تعالى قد أعدَّه تماما لتلك المهمة ، وعرضها عليه فارتضاها ..!

.... إنه علِمُ الله تعالى الذى رأى فيه الإنسان قد وافق على حمل الأمانة طامعاً فى بريقها فى التسلط على الأرض ، والسيادة عليها ، وارتشاف ملذاتها ، والحياة فيها من أجلها !!

ولذلك فقد استحق من الله تعالى الوصف الثـــانى « جهول » أى أن جهله مبالغ فيه جداً . لأنه وإن كان قد حمل الأمانة إلا أنه قد نسى ما نسى .

نسى الإنسان أنه خليفة لربه تعالى فى الأرض فى تنفيذ شرائعه وأحكامه . فقد نسى أنه مُوكَّل مـن الله تعالى واعتقد بأصالته فى الأرض وليس بوكالته فيها نيابة عن الله تعالى ... ونسى ما أمره الله به من إقامة شرائعه وسُنَنَه فى الأرض بل أن الإنسان قد أخذ يتحايل على تلك الشرائع التى هو أمين عليه لتطويعها لمسايرة ما يريد ...!

... " **إن الإنســان ليطغى** " ... نعم لقد طغى الإنسان وعاش فى الدنيا من أجلها خدمة لنفسه . واعتقد بأصالته فى الأرض بل أنه نسى أن الله سبحانه وتعالى لم يخلق الكون تاركا القوانين الحاكمة له تُنَظِّمُه بمفردها دون تَدخُّله .

نسى أن الله تعالى يباشر ملكه كملك للملوك وكمالك لكل مالك ومملوك ... وأنه تعالى لم يترك القوانين تتعامل مع الكون بمفردها . نسى أن الله يراقبه ولم يراقب هو الله .... أأمِنَ الإنسان مكر الله ...؟!!

... لقد نسى الخليفة عهد الخلافة ...!!

... " **وكان الإنسانُ عجولا ...** " .... (الإسراء : ١١)

... " **وكان الإنسان أكثر شئ جدلاً ...** " .... (الكهف : ٥٤)

... " **إن الإنسان لظلومٌ كفَّار ...** " .... (ابراهيم : ٣٤)

... " **وكان الإنسان كفورا ...** " .... (الاسراء : ٦٧)

... « قُتِلَ الإنسانُ ما أكفره ... » .... (عبس : ١٧)

... « يا أيها الإنسان ما غرَّكَ بربك الكريم .. » .... (الانفطار : ٦)

... « إنَّ الإنسان ليطغى ... » .... (العلق : ٦)

... « وما قَدَرُوا الله حَقَّ قَدْره ... » .... (الانعام : ٩١)

وما قدروا الله حق قدره

صعد الإنسان للفضاء ، لقد ضاقت عليه الأرض بما رحبت ، وضاقت عليه نفسه ، صعد للفضاء حاملاً معه حقيبة أحلامه وعلامات استفهامه ...!

تسلق الكواكب وعَبَرَ المجرات ، بحثاً عن أشياء وأشياء . لقد ضاقت عليه الأرض بما رحبت وضاقت عليه نفسه . تصور أنه السيد المطلق فى هذا الكون . ونسى أنه السيد المؤقت على الأرض وبتوكيل خاص بمهمة محددة من السيد الأصلى ... السيد الأعظم .. ربنا الله تعالى . توكيل خاص بمهمة محددة لأجل مؤقت ليؤدى فيها الإنسان دور « السيد » أى أنه ليس سيداً أصيلاً ، لكنه سيد مؤقت عبد للسيد الأعظم . لقد نسى خليفة الله فى الأرض ربه فى زحام الدنيا واختناقاتها. ضاعت حقيقة الشرائع من القلوب ، بعدما صارت الحناجر قلوبا ، وتشدقت باسم الله فى قاموس ردئ مستهلك . يحوى مجموعة من المفردات الجاهزة على الألسنة ...

« إن شاء الله » ... « ربنا معاك » ... « الله يشفيه » ... « ربنا يسهِّل » ...

... « الله يرحمه» ... « الله يخليك » ... « الحمد لله » ...

... « نشكر ربنا» ... « لو ربنا سهلها » ... « الحمد لله » ...

... « أعوذ بالله » ... « يا رب » ... « ليه يا ربى » ...

... « منك لله » ... « أعمل إيه يا ربى » ... «الله يخرب بيته»

... « حسبى الله ونعم الوكيل » ... « و الله » ... «إتق الله» ...

... « بسم الله الرحمن الرحيم » ... « ربنا سترها» ... «يا ساتر » .....

« ربنا ياخده» ... « ربنا موجود» ... «الله يسامحك » ...

... «حيروح من ربنا فين » ... « لا حول ولا قوة إلا بالله » ...

... « قول يا رب » ... الخ .

مجموعة من المفردات المتكررة الخالية من إحساس بمضمونها . و « الله » فيها مُوظَّف توظيفاً لفظياً بالتعوُّد المفتَقِد لجوهرية المعنى والإحساس .

تحوَّل المثقفون لعبادة عقولهم ولئن سألتهم أنكروا بشدة ، مُستائين من اللفظ وغير مستعدين للإستياء من الحقيقة . مع أن حقيقة الحقائق أن الإنسان عَبْد ما استهواه وأسَرَه .

وتحوَّل الأغنياء إلى كاسحات جمع أموال سريعة وبأى شكل ومن أى مصدر ، وأصبح الفقراء أكثر فقراً و أقل حظاً وأعلى صوتاً ولكن الميكروفونات ليست فى حوزتهم !

وأصبحت شعوب الدرجة الثالثة أو العاشرة من تنابلة السلطان الذين يستهلكون ولا يُنتجون . يُنفقون ولا يُحقِّقُون العائد الكافى للإنفاق على استهلاكهم فكانت « نظرية السندباد » أو « الحكومات » التى تلعب لهم دور « بابا » و « ماما » !!

... تستدين لهم الحكومات ليأكلوا ويشربوا . ولتسدد الأجيال القادمة فواتير الحساب !!

... شعوب تمتلك خيرات وخيرات ، وحكومات تتعاقب عليهم ، والأمر كما هو ... المزيد والمزيد من الديون !!

ولعل شعوب الدرجة الأولى الممتازة أفضل حالاً من تلك النواحى . فَهُمْ وحكوماتهم من النضج والوعى أن أصبحوا هم مُقْرِضِى شعوب وحكومات الدرجة الثالثة ... ويُصَدِّرُون لهم أيضاً فوائضهم من السلع والأفكار المسمومة والمخدرات ، والوهم والأفلام الساقطة والعبادات الشيطانية ... والأديان الوضعية لأنبياء الفكر لديهم ...!!!

صعدت خيرة عقول شعوب الدرجة الأولى الممتازة فى رحلاتها الفضائية – والتى تكلفَّت برامجها البلايين من الدولارات – إلى الكواكب الأخرى ، سعياً وراء التعرف على الكائنات العاقلة الأخرى – بخلاف الإنسان – التى تسكن بهذا الكون . ويتلقون بين الحين والآخر موجات آتية من الفضاء البعيد تزيدهم ولعاً وشغفا بضرورة الوصول إلى هذه الكائنات وفتح حوار معهم ، علهم يكونون أكثر تقدماً مما هى عليه الكرة الأرضية الآن ...!

صعدوا للتفتيش فى الكواكب الأخرى لاكتشاف تلك التى تصلح لسكنى ومعيشة البشر .

« ... ضاقت عليهم الأرضُ بما رَحُبَتْ ، وضاقَتْ عليهم أنْفُسُهم »

.... (التوبة : ١١٨)

لقد استفحل واستوحش شعور الإنسان بالغربة والمرارة واللاهدف . فانصرف بكل ما به من مشاعر مُخْتَلَّة وبقوة اندفاعها كاملاً تجاه ذاته . أصبح هو هدف نفسه ... وغايته أن يكون أو لا يكون ... بأي شكل . نسي دوره ... ونسي ربه ...

... **« نَسُوا الله فَنَسِيَهُم »** .... (التوبة ٦٧)

لقد أصبح من غرائب الأحداث أن تجد مجموعة في أي عمر من الأعمار ، مجتمعة في أي مكان ، للتشاور بخصوص « ربهم » أو « دينهم » ...! اللهم إلا في الصلوات الرسمية ، وفي الأيام الرسمية ، وعلى سبيل أداء واجب ولم تعد تشعر بارتعاش القلوب ... لذكر الله ...!!

لم يعد الله يشغل بال مُدْمِني صالونات ومحافل « التنميق » و « الإفتعال » ، من أكابر الشعوب والمجتمعات ... ولم يعد الصِّغَار صِغاراً ... بل من أكابر المتمرِّدين ... نعم صاروا في التمرُّد أكابر !... الكل ربط عينيه وشد نفسه لساقيته يدور بها إلى مالا نهاية ...!

مجتمعات وحكومات وشعوب ... أجيال ترث أجيال ... ترث وتضيف لميراثها . تضيف الكثير من موضات الفكر واللاهدفية ، وتُقَعِّد أسس الضياع . لقد ظلم الإنسان نفسه وظلم غيره ، وغيره ظلم نفسه أيضاً وظلم غيره ... وصار قانون الظلم ... ظلم النفس وظلم الغير هو أساس عدل المسيرة الإنسانية ...!

... **« ولو يُؤاخذُ الله الناسَ بظلمِهم ما تَركَ عليها من دابة ولكن يُؤخِّرهم إلى أجلٍ مسمى ... »** .... (النحل : ٦١)

ولكن يُؤَخِّرُهُم إلى أجَلٍ مُسَمّى ...

قال ربنا تعالى .. **« ولو يُؤاخذُ الله الناسَ بظلمِهم ما تَركَ عليها من دابة ولكن يُؤخِّرهم إلى أجلٍ مسمى ، فإذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولا يستقدمون .. »**

.... (النحل : ٦١)

فالحكمة الإلهية التى أبْدَعَتْ ونظَّمَتْ وشرَّعَتْ وأقَامَتْ وأقْعَدَتَ ... إنما هى حكمة ربانيةٍ إلهية مُنَزَّهة عن الإنزلاق والزلل ... فلقد كان آدم وكل ابن آدم لخلافة ربنا الله فى الأرض ، وإقامة شرائعه ونواميسه ، والحكم بما أنزل وارتضى كرب إله .

ودور الخلافة الذى ارتضاه آدم وكل ابن آدم هو أساس وجودنا فى الأرض . وتَعرُّض ابن آدم للزلل والنسيان والضياع كلها أمور واردة . فهو لم يُخْلَق على النمط الملائكى المؤهَّل فقط لأداء الأمر الربانى وللحمد والتسبيح والتمجيد ... لم يُخْلَق ابن آدم خلق النمط الواحد الثابت . ولكن خُلِقَ مُتَضمِّناً عدداً من الأنماط وجامعاً للمتناقضات . ولذلك فدور الخلافة وحملْ الأمانة ، إنما هما فى الجوهر " **اختبار صعب** " .

لذلك كانت إشراقات وفيوضات الأنوار الإلهية الموجِّهة للمسيرة الإنسانية من رحمات ، وبركات ، ورسم طريق ، وهداية ، ومغفرة ، وإجابة مستغيث ، والضرب على يد طاغية ، والمسح على رأس يتيم ، وهداية ضال ، وإغناء فقير ، وزيادة آخر فقراً ، وتوبة عاصٍ ، وموت هذا ، ومرض ذاك ، وميلاد هذه .... إلخ .

الله يمارس سلطانه فى ملكوته ويمد عبده ويحتمله ويحتمله ويحتمله .

فالحكمة الإلهية لن تنساق خلف الخلق . وإلا لقامت القيامة ولَدَكّ الله الأرضَ بمن عليها من آلاف السنين ليتخلَّص من التمرُّد الإنسانى للأبد .

.... " **ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ماتوسوس به نفسه ..** "

.... (ق : ١٦)

● التأمل الحادى عشر ●

حروب شيطانية ..

يعتقد معظم الناس فيما يرونه فقط ، بالرغم من أن ربنا تعالى قد أخبرنا عن بعض مما لانراه . فَهُم يعتقدون فقط فى الماديات والمحسوسات ويتشككون بل ويرفضون كلية الغيبيات ....

ومن العوالم التى أخبرنا عنها الله تعالى ، عالم الملائكة وعالم الجن .

وعالم الجن من العوالم المستترة بالنسبة لرؤيتنا العينية العادية . وهو ما تعنيه كلمة « جِنّ » وهو الإختفاء أو الإستتار .

وعالم الجن من العوالم القديمة المخلوقة قبل الإنسان . وكانوا هم سكان الأرض لأكثر من جيل لهم . لكنهم عاثوا فى الأرض فساداً . فشتتهم الله فى الجزائر والجبال . وقد خلقهم الله تعالى من النار ... وهم أمم أمثالنا عاقلة . فيهم الذكر والأنثى ، يتزاوجون ويُنْجِبُون وفيهم من يُتْقِن علوماً معينة . ومنهم المسلمون ومنهم النصارى ومنهم اليهود ومنهم على غير ذى مِلّة وهم الشياطين والعياذ بالله .

والمسلمون وأهل الكتاب منهم - أى النصارى واليهود - كالآدميين تماماً فيما يتعلق بالأديان . فمنهم من هو مستمسك بدينه عابد لربه ، ومنهم من لا يعمل بما يحمل من الكتاب شيئا .

أما الشياطين أو السلالة الإبليسية - والعياذ بالله - فهم كفرة يعبدون النار .

وكما أن آدم هو أبونا الأول . فكذلك إبليس الرجيم هو أبوهم الأكبر . الذى اعتبر آدم وكل ابن آدم هو سبب تدهور منزلته التى كان عليها .

فحين خَلْق آدم ، أصدر الله تعالى أمراً للملائكة ولإبليس ممثلاً للجن فى هذا الموقف . أنه ما أن أنهى خلقه - أى خلق آدم - فاسجدوا له . « **فإذا سوَّيتُه ونفختُ فيه من روحى فقعوا له ساجدين** » .... (الحجر : ٢٩)

وكان السجود هنا للتقدير والتشريف لآدم خليفة الله فى أرض الله وليس سجود عبادة لآدم . فسجود العبادة لله تعالى وحده .فاستجاب الجميع إلا إبليس الرجيم أبى واستكبر أن يكون مع الساجدين تكبُّراً لكونه مخلوقاً من النار ، واستخفافاً بآدم المخلوق من طين . « **قال أنا خيرٌ منه ... خَلَقْتَنى من نار وخلقْتَه من طين ..** » ..... (الأعراف : ١٢)

... **« لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصالٍ من حمأ مسنون »** ...

.... (الحجر : ٣٣)

فكان استكبار اللعين ... إجلالاً واعتزازاً بمادة خلقه وهى النار ، والتى جعلته متكبِّر عن طاعة ربه ، باعتباره أفضل من آدم المخلوق من الطين ، فكانت هى معبوده ومعبود كل بنى جنسه بعد ذلك .

وقد يتساءل البعض كيف لمثل هذا اللعين أن يكون عابداً للنار وبعد أن كان عابداً لله تعالى ...؟!

يقول ربنا تعالى **« ... أفرأيت مَنْ اتخذَ إلهَهُ هواه وأضَلَّهُ الله على علم وخَتَمَ على سَمعه وقلبه وجَعَل على بصره غِشَاوة فمن يَهْدِيه من بَعْد الله ، أفلا تذكَّرون »** .

.... (الجاثية : ٢٣)

فإبليس اللعين اتبع هوى نفسه وعصى ربه بإصرار ... وكان لديه المبررات التى تجعله مُصِراً على ما هو فيه ...!!

فتحولّت طاعته إلى هوى نفسه بدلاً من الله تعالى ، ولأن الطاعة تكون لله جلّ شأنه ... فقد أحَلَّ اللعين هوى نفسه مَحَلَّ إلهه الحق ، وأطاعها وعصى ربه ... ولذلك انطبق عليه وعلى كل السائرين وراء أنفسهم « اتخذ إلهه هواه » ... « وأضَلَّهُ الله على عِلْم » ... وبمعنى أن هذا المبدِّل لإلهه ... هو عالم بالحق ... غير جاهل به ...!

ولذلك كان عصياناً معجوناً بالكِبْر وسبق الإصرار والترصُّد ، والذى لا يحمل أدنى إحتمال بالتراجع عن « عبادة كبرياء النفس » ...!!

فكانت النار هى إلهه وإله كل تابعيه وسلالته أجمعين ... وهى مثواهم يوم الدين ...

وقد كان اللعين فى مكانة عالية بالسماوات ... وقيل بالجنة ... وبعد موقف الكبرياء والعصيان ... صدر له الأمر الإلهى النهائى ...

« فاخرج منها فإنك رجيم ، وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين ...»

....(الحجر ٣٤ ، ٣٥)

أى أنك مطرود ملعون إلى يوم القيامة .

وانظر كراهيته الشديدة لآدم ... « **قال رب فأنظرني إلى يوم يُبعثون** » ..

.... (الحجر ٣٦)

أي يريد مهلة يبقى فيها حياً حتى يقوم الناس لرب العالمين يوم القيامة ، تربُّصاً بآدم وذريته . وانظر باقي خطته ... « **لأزيِّننَّ لهم في الأرض ولأغوينَّهم أجمعين ، إلاَّ عبادك منهم المخْلَصين ..** » ..

.... (الحجر من ٣٩ ، ٤٠)

أي أقسم على تجميل وتزيين الأرض وكافة ما بها من لهو وفجور ومعاصي وفسوق لكل بني آدم . لإغوائهم وإفسادهم وترك مهمتهم التي هم لها . إلا من اختارك يا رب كعبد مؤمن وأخلص لك ، فليس لي معه شأن .

فماذا قال الله تعالى ... « **إن عبادي ليس لك عليهم سلطانٌ إلاّ مَنْ اتّبعَك من الغاوين ..** » .... (الحجر ٤٢)

قال ربنا الله إن عبادي المؤمنين ليس لك عليهم سطوة أو قوة أو قدرة . ولك فقط منهم من يتبعك ممن ضل وغوى ولك ولهم عذابي .. « **وإنَّ جَهنَّم لموعدهم أجمعين ..** » .... (الحجر ٤٣)

وحذَّر الله تعالى آدم من عدوه الذي ناصبه العداء منذ الوهلة الأولى ، فقد أعلن إبليس اللعين عن تربصه بآدم وبكل بني آدم ومنذ اللحظة الأولى لوجود آدم .

وقد أسكن الله تعالى آدم وزوجه الجنة يقيمان فيها كيفما شاءا . ونهاهما الله تعالى عن الأكل من شجرة معينة . ولكن العدو هناك متربص . وآدم مازال في طور حياته الأول حتى وإن خُلِقَ رَجُلاً .

..« **فوسوسَ إليه الشيطان قال يا آدم هل أدُلُّكَ على شجرة الخُلد ومُلْك لا يبلى . فأكلا منها ...** » .... (طه : ١٢٠ ، منّ ١٢١)

إن ابليس الرجيم شخصياً مازال حياً ،كما وافق الله تعالى وأمهله حتى النهاية . وله من الجنود الشياطين من يجوبون الأرض والهواء والبحار في كل لحظة سعياً وراء انهيار كل بني آدم والإجهاز عليهم تماماً ... ولك أن تتخيل أو لا تتخيل كم المؤامرات الشيطانية الإبليسية المصاغة بدهاء والموجهة سمومها للإنسان . فَهُم يروننا من حيث لانراهم . ونحن نظن أننا وحدنا في أي مكان نكون فيه . ونظن أن أي فكرة تطرأ على أذهاننا هي من خلاصة أفكارنا وصميم عقولنا .

إن الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فى العروق . فهو يتابعك طوال الوقت مُتحيِّناً فرصة للمحادثة معك على **طريقته ... الوسوسة** ...!

هو يهمس فى أذنك وأنت تتخيل أن كلاماً معيناً يدور بذهنك ، وكثير مما يحدث حولنا ومعنا يكون بالوسوسة أو الهمس الشيطانى فى الآذان . والذى يلقى استجابة للأسف من الإنسان الجاهل بعدوه الشيطان .

وللأسف لعدم الدراية أو للجهل - غير المتعمَّد - بهذا العدو ، أخذ يلهو بالآدميين كيف يشاء ، وهم آذان صاغية لنصحه المسموم .

والأخطر من ذلك هو « **أبلسة الآدميين** » أو تحوّل بعض الآدميين - خروجاً عن شرائع الله جلّ شأنه - إلى معاونين متحالفين مع إخوانهم من أبالسة الجن .

وهناك تخصُّص فى العالم الشيطانى ، وبمعنى أن لكل نوع من المفاسد شياطينه وجنوده الخاصة به والمتخصِّصَة فيه دون غيره ... !

فمثلاً وأنت تصلى تجد - فجأة - ذهنك متجهاً لموقف تذكرته وما هذا الموقف الذى تذكرته سوى أن الشيطان يقف جانبك هامساً فى أذنك بكلمة سريعة عن ذلك الموقف ، فتتذكره وتتخيل أنت أنه مجرد استرجاع بالذاكرة لأحداث اليوم .

وكلما رقى مستواك فى شئ معين استُبْدلَ الشيطان القديم بآخر جديد فى نفس التخصص ولكن على درجة أعلى .

ولا تتخيَّل أن الله سبحانه وتعالى ، قد خلقهم ليلهوا هم بنا . لا ... فهم جزء أو إحدى المفردات المكوِّنة لنظام الكون . فهم مُكوِّن الشر البحت . كما أن هناك الملائكة والذين يمثلون مُكوِّن النقاء البحت . مُكوِّنَان مُستَتِران فالنظام العام للكون حولنا ، وكما أراده الله سبحانه وتعالى يحمل دائما الوجه والوجه الآخر ، أو سَمِّها « **قانون الضِّدِّيَّة المُتَسِّقَة** » .

فهناك الصحة وضدها المرض ، هناك الغنى وضده الفقر هناك النهار وضده الليل ، هناك النور وضده الظلام ، هناك الحار وضده البارد ، وكذلك الخير ونقيضه الشر .. وهكذا .

فَهُم إذن من مكونات النظام العام حولنا . وعلينا تَفهُّم ذلك باعتبارهم مُكوِّناً خطيراً فى ذلك النظام . واعلم أنك كما انت مطارد من الشياطين فأنت أيضاً محاط بالملائكة ولا قدرة لشيطان على ملاك .

ولكن خط أداءاتك اليومية ، وسلوكياتك العامة ، وعلاقتك بربك ، هى التى تحدد تركيبة وهوية الفريق المصاحب لك . هل هو فريق ملائكى أم شيطانى .

فإن كنت من أهل التقوى - جعلني الله وإيَّاكُم - سيكون قانونك هو الله وشريعته ، وبالتالى ستكون أداءاتك منضبطة بربك . وطريق ربك لا تحرسه الشياطين ولكن حراسه ملائكة . يطردون عنك كل شيطان رجيم ...

... " **إن عبادى ليس لك عليهم سلطان ، إلا من اتَّبعَكَ من الغاوين** .. ." أما من سلك الطريق الآخر - والعياذ بالله - وهو طريق الغواية ، فلك أن تتخيل ، من هم حراس ورعاة الغواية ، أو طاقم حراسته الخاص ، إنه متى سار كان معه طاقمه الإبليسى اللعين . أنظر لإنسان ما أثناء لحظات غضبه ، وافحصه جيداً وبهدوء . وانتظر حتى يهدأ ، ستجده شخصاً مختلفاً تماماً .

ماذا وجدت فى لحظات غضب هذا الشخص ، من تغيرات عامة صاحبت موقف الغضب ؟

أتحداك إن سألته بعد عودته لهدوئه ، عما شعر به ؟

سيقول لك - وهذه إجابة شبه عامة - كنت أشعر بحالة هياج وقدرة على قول أى شئ وفعل أى شئ مما لا أستطيع مجرد التفكير فى قوله أو فعله فى الأوضاع العادية . ووجدت نفسى أقول كذا ... وكذا ... وكذا .... « مش عارف ليه » ....!!

ماذا يعنى ذلك ؟

إن ذلك يعني فقدان الإنسان لمجرد لحظات ..لسيطرته المعتادة على أداءاته السلوكية . وبما يعني تسليمه زمام نفسه لشئ آخر لا يعرفه ولا يراه ... لقيادته فقط لمدة لحظات . وفقط تكفى لحظات ولا علاقة هنا لإفراز الغدد بما نقوله ، فإفراز الغدد لحظات الغضب يكون بعد الامتلاء بشُحْنة والمقصود هنا هو الشحنة . وكل الذى فعله هذا الشيطان اللعين ، أنه اقترب أكثر من هذا الشخص لحظة غضبه وأخذ ينفث فيه سمومه ...

... « قول له كذا ... إعمل كذا ... ما تصدقهوش .. » ..!!!

إن الشيطان متى رأى فريسته سالكاً طريق الغواية فإنه وبدون مجهود يُذكَر ، وهو مُسْتلقٍ ومستريح سيزيد من إصرار فريسته على الغواية والضلال . مهما كان شكل وجوهر هذه الغواية أو ذاك الضلال .

لا تتصور أن الشيطان دائما يقول كلاماً ، يُفْهَم منه مباشرة أنه فكر شيطانى، فمن الممكن أن يلعب معك الشيطان دور المُفكِّر ...! ويبنى لك القصور الوهمية بألفاظ حريرية المظهر سامة الجوهر .

كأن يكون معك مثلاً أثناء قراءتك بأحد الكتب العقائدية ويسترسل معك جزءاً جزءاً . ثم يأتي في نقطة معينة ، ويقول لك ... لا ... إن فهمهم خاطئ ... المقصود هو كذا وكذا ... ليُظهر الباطل حقاً ويظهر الحق باطلاً .

ومن الممكن أن يكون الشيطان لك واعظاً يُذكّرك ، إن كنت عابداً منقطعاً للعبادة ، يقول لك كيف تنام وتترك ذكر ربك الذى لا ينام ؟!!!

إنه يعلم ما هي مداخل فريسته . فهذا العابد المنقطع لعبادة ربه ، يحتاج أن يستريح وينام قليلاً ، حتى يمكن أن تسير به الحياة ... لكن الشيطان يخطط لهدم ذلك العابد واستغراقه واستهلاكه تماما ليتخلص منه نهائياً .

وتلعب الشياطين الرجيمة دوراً فى منتهى الخبث والدهاء ، يتناسب مع خط سيرهم الذى ارتضوه لأنفسهم منذ جدهم العاصى الأكبر . فَهُم لا يعبدون الله ، ولذلك تجدهم يتحايلون بكل ما هو ممكن وغير ممكن - من منظور الإنسان - لتحويل الإنسان إلى عبادة شئ آخر ... إنسان مثله ... مثلاً ... !!!

وكما ذكرنا فليس الفكر ولا الأداء الشيطانى ، ممكن القراءة منذ الوهلة الأولى على أنه فكر شيطاني مُدمِّر . ولكن كل فكر أو أداء شيطاني هو فى حقيقته « خطة » ، تبدأ بمقدمات لتنتهى بالنهايات المستهدفة . والنهايات هى ما يعنيهم ، وليس المقدمات ولا زمنها الذى تستغرقه ... فأعمارهم أطول منا ، فهم مُعَمِّرون مقارنة بنا . وبالتالى فعمر الإنسان بالنسبة لهم شئ بسيط . ولذلك فخطة الشيطان معك وإن استغرقت نصف عمرك أنت أو أكثر . شئ بسيط بالنسبة للشيطان من منظور زمنى .

وكما قلنا فمن خططهم المحبوكة ، هى تحويل الإنسان من عبادة ربه لعبادة أشياء أخرى دون أن يشعر هذا الإنسان بأنه قد استلقى فى براثن الخطأ والزلل .

وفى الحقيقة لا يرى هذا الإنسان صراحة أنه تحوَّل عن عبادة ربه ..! ولكن كما قلنا هى الخطط المحبوكة والمخدومة بإخلاص شيطانى مُفرط .!! فالإنسان بطبيعته ميَّال للقدوة والمثل الأعلى ، بمعنى سعيه دائماً للتعلق بِسِيَر الصالحين ممن سبقوه . والذين شهد لهم التاريخ بجودة العبادة الحقة لله تعالى ، والإخلاص له ... لم يترك الشيطان هذا الباب ، ولكن قرع عليه بشدة ، بل ووجد فيه ضالته المنشودة ...!

فالصالحون ممن سبقونا ونعلم سيرتهم العطرة والذين يُلَقَّبُون بـ « **الأولياء** » لدى المسلمين .. وبـ « **القديسين** » لدى النصارى . هم فى أفضل الحالات بشر .. ومجرد بشر . ولكن الخطط الشيطانية المحبوكة بإبليسية مُفرطة ، اتجهت فى أداء طويل الأجل لا يَكَلّ ولا يَملّ ،

فى إظهار هؤلاء الصالحين فى كم وحجم أداءات إعجازية مهولة . أدت إلى تعلُّق الكثير والكثير جداً من بنى الإنسان ببشر مثلهم ، معتقدين فيهم ، وفى أنهم يسمعونهم ويفعلون لهم ما يطلبون ..!!

عمليات جراحية ... صلح بين متخاصمين ... قبول فى وظيفة سبق وأن رُفضَ فيها الشخص ... رؤيا منامية ... سأفعل لك كذا وكذا وكذا ...! ولئن ضَيَّقْتَ علَى أىٍّ من هؤلاء المعتقدين فى ذلك ... **يقول لك ... أنا فقط أدعو الله بشفاعة فلان ...!!**

وأدَّى هذا أنك تجد من المتفشى حولك ، أناساً يقرأون فى مطبوعات تسمى بـ .. « **كُتُب معجزات** » ساعين للإنضمام لقوافل وجحافل المؤمنين بذلك الوهم والغى ، مقيمين لهم الأعياد والاحتفالات والتمجيد والنذور ..!

لدرجة أنك تجد من يقول .. « والنبى يا فلان ... إعمل لى كذا . » .. « علشان خاطرى .. يا فلانة .. ابنى عنده كذا .. » .... الخ .

... « **وإنْ يدعون إلا شيطاناً مريدا ..** » .... (النساء ١١٧)

بهذا نجح الشيطان فى توظيف رموز تاريخية صالحة ، لخدمة أغراضه وهي تحويل الإنسان بوجهه وقلبه ... ليسأل من هم غير الله تعالى . بل من هم مجرد عبيد له . وهو وحده أعلم بهم وبحقيقة صلاحهم . وهو وحده تعالى الذى يتولى حسابهم وتكريمهم أو مجازاتهم بما هم أهل له ... وليس من باب المعجزات والكرامات الخارقة ، أن يقف معك شخص تُفاجأ به يقول لك ... « يا أخى ... بلاش تزَّعل نفسك ... هى الوظيفة دى مش كويسة ... سيبك منها ... ربنا شايل لك حاجة أحسن .. » ..! من أدراه بذلك ؟ يَخُرَ المستمع راكعاً أو ساجداً يُقبِّل الأيادى ويقول ... وماذا أفعل ؟ إذن فالأمر حقيقة ...!!

نعم حقيقة ! ولكنَّه لم يأتِ بالخوارق - لمن يعلم بفضل الله حقيقة المؤامرة - فكل الذى حدث هو مجرد تلقين . نعم تلقين فى أذن المتحدث لك ، من أحد بنى الجن المصاحب له . هذا الجن كل الذى يفعله أن يتحدث مع أحد بنى جنسه المصاحبين لك والملازمين لك « القرين مثلاً » (١) .

ويعلم منه إحدى مشاكلك المُلحَّة . ثم يهمس بها فى أذن صديقه ولا أنت رأيت الأول ولا الثانى ولا استمعت لحوارهما . ولكن كل ما سمعته هو الكلمات التى انسابت بثقة على لسان محدثك ، ومثل محدثك هذا ... وعندما يتوفاه الله ، ستجد أن « الجن » الذى كان مصاحبا له أثناء حياته ، سيؤدى « خدمات جليلة » لكل من ينادى ويطلب هذا الشخص حتى بعد وفاته ...!!

(١) ليس هنا مجالنا للإفاضة فى مثل هذه المسميات والموضوعات بإسهاب ، أو على سبيل تخصيص قدر أكبر لمناقشتها تفصيلاً اكتفاء بهذا العرض السريع لبعض مظاهرها فقط ، والذى يلائم موضوع نقاشنا .

لماذا ؟! ...

لتثبيت الناس فى الضلالة وللبس الحق بالباطل ، ولكى يتخذ الناس أوليا ء من الناس أحيا ء وأمواتا ومن الشياطين من دون الله تعالى ... « **اتخذوا الشياطين أولياءَ منْ دون الله ..** » .... (الأعراف من ٣٠)

وكثير ممن تحدثهم فى تلك الموضوعات ، تجده يؤمن بالمعجزات المفتعلة . ويقول لك .. لا أؤمن بالجن ولا بالشياطين . لأنه لا يراهم ؟

ولمثل هؤلاء أقول ، هل يمكنك أن ترى التيار الكهربائى ؟!

طبعاً لا ... ولكن لهذا التيار وجود وقدرة لا ينكرهما أحد ... ولكن عدم رؤيتك له لا ينفى وجوده أو فعله ... وبالمثل فعدم رؤيتك للملائكة لا ينفى وجودهم ولا يُعطِّل من فعلهم كذلك من هم مقصودنا ... الشياطين ... وعالم الجن عموماً ، عدم اقتناعك بهم لا ينفى وجودهم وفعلهم .

إن اعترافنا بوجود الشيطان ، لا ينفى مسئولية الإنسان عما يفعل ولا يعفيه من المحاسبة على أفعاله ، ولا ينفى تفوق بعض النفوس البشرية أبلسة على الأبالسة أنفسهم ...! فهو كائن ذو إرادة ومشيئة وقدرة . ويمكنه فعل هذا وترك ذلك ، وبالتالى نحن لا نُحمِّل الشياطين بنتائج فعل الإنسان . ولكن كل إنسان مسئول عن فعله . « **كلُ نفسٍ بما كسبتْ رهينة** » .

تماماً كما لو أن لك صديقين ، أحدهما طيب النفس ، والآخر خبيث النفس والعياذ بالله فإنك فى أى موقف قد تتعرض له ، من الممكن أن تجتمع بهما – من منطق الصداقة – لأخذ المشورة . وبعد نقاش طويل أو قصير ، يكون لك رأيك النهائى وبالتالى سلوكك المحسوب لك أو عليك دون أن يُعلِّق أحد سلوكك النهائى على أحد صديقيك لأنك أخذت منه المشورة . ولك أن تعتبر أن الملائكة والشياطين هم « ملازموك » فى حياتك مثل أصدقائك فى المثال ، وكما قلنا سابقاً ... إن هى إلا توازنات الضِّدِّية المُتَسِّقة . وأنت بسلوكك الذى تُرجِّح كفَّة الغلبة المحيطة بك « ملائكية » أم « شيطانية » . وبالتالى فأنت الذى تحدد نوعية أصدقائك الملازمين ، وبالتالى نوعية النصيحة التى ستستمع إليها . والتى ستكون فى أفضل الحالات – وكرأى أصدقائك – مجرد مشورة والتى تشعر بها داخلك ،كأن هناك الرأى وضده ... افعل ... و ... لا تفعل ... إنها المشورة من المحيطين بك ممن لا ترى . وفى النهاية أنت صاحب القرار والسلوك الظاهر والآخير .

« .. هل أنبئكم على مَنْ تَنَزَّلُ الشياطين ، تَنَزَّلُ على كل أفَّاك أثيم يُلْقُونَ السمْعَ وأكثرهُم كاذبُون .. » .... (الشعراء : ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣)

.. **« ياأيها الذين آمنوا لا تتَّبعُوا خُطوات الشيطان .. »** .... (النور : ٢١)

.. **« إنَّ الشيطان لكم عدوٌ فاتخذوه عَدُوّا .. »** ....(فاطر : ٦)

.. **« وزَيَّن لهم الشيطان أعمالهم فَصَدَّهُم عن السبيل .. »** ..(العنكبوت : ٣٨)

.. **« الشيطانُ يَعِدُكُم الفقْرَ ويَأمُرُكم بالفحشاء .. »** .... (البقرة : ٢٦٨)

.. **« ألا إنَّ حزْبَ الشيطان هُم الخاسرون .. »** .... (المجادلة : ١٩)

.. **« إنما ذلكُم الشيطانُ يُخَوِّفُ أولياءَهُ فلا تخافوهم وخَافُون .. »**

.... (آل عمران : ١٧٥)

.. **« وكان الشيطان لربه كفورا .. »** ....(الإسراء : ٢٧)

.. **« إنَّ كيد الشيطان كان ضعيفاً .. »** .... (النساء : ٧٦)

لقد قال الله تعالى للشيطان الرجيم الأكبر . « إنّ عبادى ليس لك عليهم سلطان . » .

أى عباد الله الذين يعرفونه ... يحبهم ويحبونه . و يعلمون أن كل شئ قائم به وبقيوميته ويحتاج إليه ، وهو - أى كل شئ - منه وإليه .

كُنْ بربك . يكن وجودك حقيقة . قائمة به . ويضع أعداءك تحت قدميك .

....

● التأمل الثانى عشر ●

نائمون ... أكثر من رُبْع العُمْر ...!!

هل فكَّر أحد ذات مرة ، أنه يستهلك أكثر من ربع عمره كله فى النوم ...!

فعلاً إنها لحقيقة تحتاج للإهتمام والتأمل ، لأن الأمر يستحق ... إنه أكثر من ربع العمر !! .

فاليوم ٢٤ ساعة وأنت كحد أدنى تنام ٦ ساعات - هناك من ينامون أكثر - إذن فأنت نائم ربع اليوم أو أكثر ، وما عمرك إلا أيام ، إذن فأنت تنام أكثر من ربع عمرك .!

وكما قلنا - والله تعالى أعلم - فالإنسان عبارة عن نفس وروح وجسد . والنوم هو خلود الجسد للراحة مع بقاء الروح به لاستمرارية حياته التى لم تنته بعد ، ولأداء كل الوظائف العضوية الجسدية . فهى عملية خروج للنفس ، خروجاً مؤقتاً وقد ذكرنا فى هذا الخصوص قول الله تعالى ...

.. **« الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تَمُتْ فى مَنَامِها ، فيمُسك التى قضى عليها الموتَ ويُرْسِلُ الأخرى إلى أجلٍ مُسَمَّى .. »** .... (الزمر:٤٢)

أى أنه سبحانه وتعالى يقبض ويأخذ أنفس من يموتون ولطالما قد قضى أجلهم . وكذلك فهو يقبض أنفس الأحياء عند نومهم . فتظل بمشيئته أنفس الأموات عنده ، ويرسل للأحياء النائمين أنفسهم ولطالما لم يَحِنْ أجلهم بعد .

وانظر متأملاً فى الآية .. « **ويُرسل الأخرى** » ... إذن فهى ليست تعبيرات مجازية عن قبض الله لنفس الإنسان الحى أثناء نومه ، ولكن عملية أخذ أو قبض فِعْلى للنفس ، بدليل « يُرسل » ، أى يقبضها فعلاً ثم يرسلها .

ما معنى هذا ؟!

إن ذلك يعني أن جسدك سكنه وراحته فراشك ... على سريرك ... والنفس سكنها ... أو قُلْ ... راحتها ... خارجك ...!

وكما قلنا عن النفس ، فهى ذاتك وحقيقتك وتركيبتك المُتَشكِّلة ، والتى حصلت على الوجود بمشيئة الله من خلال هبة الجسد ونفخة الروح .

إن هذه الذات أو التركيبة المُتَشكِّلة هى التى تخرج عنك أثناء النوم فأين تذهب إذن ... وماذا تفعل ... ومع من ... ولماذا ...؟!

إن النفس تلك الذات أو الحقيقة المتشكلة والتى هى أنا أو أنت أو هو أو هى ... ، لسنا بمفردنا فى هذا الكون ، وكما سبق أن ذكرنا ، فهناك ما يُرى ومالا يُرى . والنفس أو الذت أثناء النوم ، تكون « فيما لا يُرى » ...!

إذن فقد عدنا مرة أخرى .. لعالم السماء .. والملائكة .. والشياطين ... الخ .

نعم ... وأكثر من ذلك ... عالم النفوس الراحلة ... لأشخاص راحلين ، أى الذين توفاهم الله فعلاً وليسوا أحياء الآن فى عالمنا المادى الأرضى المحسوس .

وكما قلنا ، فأنت الذى تختار أصدقاءك فى عوالم « مالا يُرى » كما أنك أنت الذى تختار أصدقاءك الذين تراهم ... فلان ... وفلان ... إلخ ... فأنت تلك النفس المتشكلة ، التى لها حدود ومعالم وملامح وأهداف وأغراض وأمنيات وخطط وعلوم و ... الخ .

فأنت إذن بسلوكك الذى تحدد من هم أصدقاءك فى عوالم « مالا يُرى » لأنك بطباعك وخصائصك ومعالمك فى عالم « ما يُرى » تميل لفلان لأنه مثلك فى أشياء كثيرة ويميل لك فلان لأنك مثله كذلك ... ، وتنفر من فلان أو ينفر هو منك ... لأنكما لستما نفس الشئ ...! وهذه أيضاً هى قاعدتك فى تكوين " **شلّتك** " أو الحيز المْحيط بك من عالم « مالا يُرى » . إذن فالمعيار هنا هو ... « منَ أنت » ؟! فنعرف من هم الفريق المصاحب لك زماناً ومكاناً . وكما تريد نفسك وتميل أثناء يقظتك أن تكون ، فكذلك أثناء نومك ستكون نفسك حيث تحب أن تكون .

فالنفس تقبض أو تؤخذ من الجسد حين النوم ، لكنها لا تدخل فى مخزن أو جراج للنفوس . إنها تؤخذ بواسطة الله تعالى ، وتعود بواسطة الله تعالى . لكنها فى انطلاقة اللاقيود ، ولا مخازن ولا جراچات ...! و بمعنى أن قبض وإرسال النفس فقط من أمور الله سبحانه وتعالى ، ولا يستطيعها سواه .

وبمنطق اللا إكراه من الله سبحانه وتعالى ولإطلاق عدله ، فهو لا يفرض علينا شيئاً . فالنفوس كما تشكلت بحُرِّية تامة ، كذلك كانت كما أرادت لنفسها وأصبحت تحيا على شاكلتها . وبالتالى فحيزها المحيط الذى اختارته لذاتها من عوالم « ما يُرى » و « ما لا يُرى » إنما هو بمطلق حريتها ولا إكراه فيه . وبالتالى فهى مازالت ـ أى النفس ـ تؤدى كما تريد .

فالنفس التحتية فى تكوينها ومطلوباتها وملامحها الكلية تكون مع أصحاب نفس الشاكلة ، أثناء انطلاقها خلال النوم .

والنفس الزكية حلوة المعالم والملامح ، إنما تكون مع أصحاب شاكلتها عند انطلاقة النوم .

هل تعتقد أن أصحاب مثل تلك النفس التحتية ، تفتح لهم أبواب السماء ..؟!!

إنهم فى الدرك الأسفل ... لمعزولون ...!

أما النوعية الثانية ... فلها أن تنطلق وترى وتأخذ جرعاتها العلوية متى وأين وكيف يشاء لها ربها ...!

... « **قُلْ هل يستَوِى الأعمى والبصير ، أم هَلْ تستَوِى الظلمات والنور ...** »

.... (الرعد : من ١٦)

حقا من أراد أن يكون أعمى فله العمى ... والظلمات كما أراد .. ومن أراد أن يكون بصيراً - بفضل من ربه - فله النور ، وإلى النور دائماً - وبمشيئة ربه - تصير به الأمور .

إذن فالموضوع ليس مجرد خروج للنفس من أجل التنزه واللهو ، لا إنه عالم آخر ... لنعتبره « **عالم الإمداد** » ... للنفوس ... وكشحْن لها ، ومن حكمة ربنا تعالى أنه يضرب النسيان على معظم إن لم يكن كل معالم الإنطلاقة فى ذاكرة تلك النفس . لأنك لو تذكرت كل شئ إذن لانتهى اختبارك ولا جدوى إذن من وجودك فى لجنة الامتحان ...!

لن تجد من يستيقظ من النوم أبداً بدون معالم أو ملامح أو دلالات تدل على ما كان فيه . وإن لم يكن متذكراً !!

فهناك من يستيقظ ويقول لك ... « أنا مصدَّع جداً » ... ، أو .. « دماغى ثقلية قوى » ... ، أو ... « حاسس إنى كنت فى دوشة » .. أو ... « أنا قايم مكتئب » ... ، أو ... « أنا قايم حاسس بانشراح » ... أو ... الخ ، من التعبيرات أو الصفات التى تصف حالته التى هو عليها أو إحساسه بما كان يمر به أثناء نومه ...!

ما معنى ذلك ؟!

إن ذلك يعنى ، أنك كنت فى ... « **أيـْن** » ... و ... « **مَتَى** » ولكن خارج الـ .. « أين » ... والـ ... « متى » الممكن إمساكهماً بيديك ...!

وما إحساس الشخص عند استيقاظه والذى ربما يؤثر عليه معظم يومه ، سوى إحساس كامن فى نفسه يتذوقه ولا يستطيع إمساكه أو تفسير أسبابه ، ولا يستطيع أن يمنع نفسه من التأثر به . إنه كان - كما قلنا - فيما يمكن تسميته بـ « عالم الإمداد » وشحن النفوس ولكن ... مَنْ يُمدُّ مَنْ بماذا ؟!

إنك لو فكرت قليلاً ... لتذكرت أن « النفس » ذات شاكلة ، ولها « أين » تحب أن تكون فيه . هذا الـ « أين » هو حيث يكون مطلوب شاكلتها . أو ... فلنقل ... النفس تكون حيث يكون من تطلبه هذه النفس ، والذى لابد وأن يكون ذا ارتباط بشاكلتها .

فالنفس الخبيثة لك أن تتوقع تحليقها فى العوالم الشيطانية الخبيثة ، والنفس الزكية لك أن تتوقع أنها بفضل من ربها ، تُحَلِّق فى ملكوت الله مع المُسبِّحِين العلويين ومع الصالحين والصِّدِّيقين ، فى احتفالات ملائكية بهذا الزائر ... النفس الزكية ...!

إنه بالفعل « عالم الإمداد » الذى تُشْحَن فيه النفوس وكل شاكلة تحدد نوع مادة الشحن ...!

فالنفس الخبيثة ... وسط الإستقبالات والإحتفالات الشيطانية تتلقى الشحن الخبيث والإمداد الشيطانى المخادع ...!

والنفس الزكية ... وسط الاحتفالات الملائكية ... والتسبيحات السمائية ، تلقى من ربها العون والإمداد الإلهى ...!

إذن فخلال النوم ، يتم الشحن ... أو إمداد النفوس ...!

إذن فهناك عطاء آخر لنا من الله ، لكنه غير محسوس أو ممسوك باليدين ، لأنه يتم فى عالم « **اللاأينية** » وذلك طوال ما يزيد عن ربع عمرك - أثناء النوم - بالإضافة إلى عطاءاته المستمرة طوال اليقظة .

شئ آخر على قدر هائل من الأهمية ، وهو ما يستيقظ النائم ويتذكر أحداثه ، ويرويها ... كقصة ... أو لقطات ...

... يقول لك ... رأيت كذا وكذا ... وكأننى كنت فى كذا وكذا ... وكان ... ورأيت فلاناً ... وقال لى كذا وكذا ... إنها ما يرى النائم أثناء نومه ويتذكره ... إنها الرؤى ... والأحلام ...!!

وما يراه النائم أثناء نومه صنوف عديدة ...!

فهناك من يرى حدثاً معيناً ... وكما رأى فى نومه ... يراه تماماً فى يقظته ...!

ومثل هذا الشخص تعوَّد على ذلك ، ولا يفهم لذلك سبباً ...!

وهناك من يرى أحداثاً سواء مفرحة أو مزعجة ... وكأنها فى عالمه الواقعى وبنفس ملامحه ، أو فى أماكن لم يرتدها قبل ذلك ولا يعرفها ... ويمر عليه الموضوع بشكل طبيعى جداً بعد استيقاظه ... ولا يُعير الأمر التفاتاً ....!

وهناك من لديه نوعية أحلام أو رؤى متخصصة ... بمعنى ... دائماً يرى أحداثاً مزعجة ... وآخر يرى فقط أحداثاً مفرحة ...

وهناك الوسط بين النوعيتين ... أى أحداث بلا ملامح بارزة ... فهى غير مفرحة تماماً ... وغير محزنة تماماً ...

وهذه المفرحة أو المحزنة أو الوسط بينها ، لا تحدث ولا تتكرر فى الواقع وفى اليقظة كما رآها هو أثناء نومه .

إذن فنحن أمام نوعين رئيسيين من الأحلام ... النوع الأول ... وهو الذى يتحقق بحذافيره كما رآه الشخص . والنوع الثانى ... أشبه بالحكاية القصيرة أو الطويلة ... فى مكان وزمان ومع أشخاص ... لكنها لا تتحقق بنفس إخراجها الذى رآها الشخص به .

نحن الآن نتحدث عن عالم النائمين ... لا تنسَ ذلك ...!

وكما قلنا فهو « عالم الإمداد » ، ولكنه أيضاً ... عالم التجربة والإختبار ، امتداداً لعالم اليقظة ...! كيف ذلك ؟!

إننا نعيش - كما اتفقنا - فى عالم « الضِّدِّيَّة المُنَسِّقَة » ، والتى تحوى التضاد من أجل التكامل . فهناك النور والظلام ، الخير والشر ، الجامد والرخو ، الملاك والشيطان ... إلخ .

ولتعلم أن هذه النوعية من الأحلام أو تلك إنما تمت بمشيئة وإرادة الله سبحانه وتعالى . وهو - جل شأنه - لا يقصد أن « **يُسَلِّينا** » أثناء النوم !!

وكما اتفقنا فإننا أثناء النوم ، نكون فى عالم الإمداد ، وكل حسب شاكلته ولتعلم أن أحد أشكال هذا الإمداد هى تلك الأحلام أو الرؤى ...! كيف ذلك ؟! ...

نحن الآن فى عالم الإمداد ... ملائكة ... شياطين ... صالحون ... خبثاء ... سماوات ... نفوس تصعد ونفوس تهبط ... لقاءات ... حوارات ... سجود ... تسبيح ... خطط ابليسية ... نصائح ملائكية ... الله سبحانه وتعالى سيد الكُلّ ...

هل تذكرون رؤيا سيدنا ابراهيم - ﷺ - حين رأى فى منامه أن الله تعالى يأمره بذبح ابنه ...!

هل تذكرون ماذا فعل هذا النبى بعدما استيقظ ؟! لقد قال لابنه .. .. « **يا بُنىّ إنى أرى فى المنام أنّى أذبحُك فانظر ماذا ترى** .. » ...!

... « قال يا أبتِ افعَل ما تُؤمَر ، ستجدنى إن شاء الله مِن الصابرين » .!

.... (الصافات من ١٠٢)

انظر لهذا الرجل ـ سيدنا ابراهيم ﷺ ـ إنه يعرف بقلبه وبنفسه صوت ربه ..!

نعم ... فهو قد استيقظ بيقين كامل يدرك أن الأمر من الله تعالى ، ولذلك بدأ فى التنفيذ ...!

والأغرب من ذلك هو رد فعل ابنه – سيدنا اسماعيل ﷺ – وهو مستسلم تماماً لمجرد رؤية منامية ...!

إذن فالأمر أخطر من ذلك ...!

نعم ... إن الأب يعرف بقلبه وبنفسه صوت ربه ولا يخطئه ، والإبن يعلم صدق نفس أبيه ، فيستسلم مباشرة ...!

كل هذا فى الرؤيا أثناء النوم ؟!

كَلَّمَه الله ؟! نعم ...!

ولننظر معاً ، إن الله تعالى كان يضعه في اختبار ، ليرى عبده الذى يعرف صوت ربه ماذا سيفعل ...؟!

لقد فدا الله تعالى الإبن ... وأخبر عبده – الأب – عن ذلك ... إذ قال تعالى ...

... « وناديناه أنْ يا ابراهيم ، قد صدَّقتَ الرؤيا ، إنّا كذلك نجزى المحسنين ... »

.... (الصافات ١٠٤ ، ١٠٥)

أنظر ... إن الله تعالى يمتدح عبده لأنه عرف صوت ربه بقلبه وقام للتنفيذ ، يمتدحه بقوله ... « إنا كذلك نجزى المحسنين » ... لقد أحسن استماعاً ، وأحسن تصديقاً ، وأحسن تضحية ، وأحسن استسلاماً للأمر ، أحسن بأن كان من المحسنين ، الذين يصدقون الله وكأنهم يرونه ....

ما هذا ؟!

وانظر سيدنا يوسف – ﷺ – إذ أخبر أباه سيدنا يعقوب ﷺ عن الرؤيا المنامية التى رآها ... « يا أبَتِ إنى رأيتُ أحدَ عشرَ كوكبا والشمس والقمر رأيتُهم لى ساجدين .. » .... (يوسف من ٤)

فماذا قال لـه أبوه ... « **قال يا بُنيّ لا تقْصُصْ رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا ...** » .... (يوسف من ٥)

ما معنى ذلك ؟ ... إن هناك لغة معينة فهمها الأب ... ومن الممكن أن يفهمها بقية أولاده - إخوة يوسف - وقد يتسبَّب ذلك فى مشاكل لابنه - يوسف - صاحب الرؤيا ....!

وهى الرؤيا التى تحققت بعد سنين عديدة ...!!

رؤيا تأتى لإنسان كإرسالية أو بث إلهى لإخباره بما سوف يحدث بعد أعوام وأعوام ...!!

وعندما تحققت ... كيف كان إخراجها فى الحيز البشرى أو حيز اليقظة ؟! ... تكرر نفس موقف السجود - سجود للتحية - من إخوة يوسف وأبيه وأمه (وقيل خالته) . عندما استدعاهم وهو فى وضعه الذى ارتضاه له الله تعالى .

ما هذا ... الكواكب رمز للإخوة والشمس والقمر رمز للأب والأم ... إننا بذلك نكون بصدد لغة رمزية تُسْتَخْدَم من الله تعالى فى مثل تلك الحالات ...!

وانظر إلى حوار سيدنا يوسف فى السجن مع السجينين اللذين رأى كل منهما رؤيا منامية وطلب من سيدنا يوسف تأويلها أو تفسيرها .

انظر ماذا قال لهما ... « **قال لا يأتيكما طعامٌ تُرْزَقانه إلا نَبَّأتُكما بتأويله قبل أن يأتيكما ، ذلكما ممَّا علَّمَنى ربى ..** » .... (يوسف من ٣٧)

ما هذا ... إننا أمام علم إذن ، هو « **علم تأويل الأحاديث** » أو تفسير الرؤى أو الأحلام . والمُعَلِّم هو الله ... « مما علمنى ربى » ...

انظر لدرجة الثقة فيما علَّمَه الله ... ماذا يقول لصاحبه فى السجن ..« لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما .. » أى ما يكون قد قُدِّرَ لكما أن تأكلاه من طعام ، ما أن تقصوا علىَّ رؤاكم حتى أفَسِّرَها لكم بمجئ الطعام قبل أن تأكلاه حقيقة ...!!

وانظر لتفسيره رؤاهم ... صدقت فى كلتا الحالتين ...!

وانظر لرؤيا عزيز مصر ... سبع بقرات سمان ومثلهم سبع بقرات عجاف ، والعجاف تأكل السمان ... وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات ... إلخ .

والتى أوَّلها له أو فسرها له سيدنا يوسف مما علمه ربه تعالى بأنها سبع سنوات رخاء وسبع سنوات شداد أو بها الجدب ... الخ .

إننا إذن أمام لغة « رمزية إشارية » إنما تحمل علماً ومعانى ...!

وانظر لقـول الله تعـالى فـى ذلك ، وبخـصوص تعليمه لنبيه يوسف هذا العلم ... « علم تأويل الأحاديث » أو « تفسير الأحلام » ...

... « **وكذلك يجتبيك ربُّك ويُعلِّمُكَ مِنْ تأويل الأحاديث** .. »....... (يوسف : ٦)

... « **وكذلك مَكَّنا ليوسف فى الأرض ، ولنعَلِّمَهُ من تأويل الأحاديث** .. » ..

.... (يوسف ٢١)

وكذلك - فيما يُرَوى - كان أن حلم « نبوخذ نَصَّر أو بختنصر » ملك بابل بأحلام انزعجت لها نفسه ، واستدعى لها كل العرافين والكهنة لتفسيرها ... ولكن دون جدوى وألهم الله النبى دانيال بتأويلها .

وكان أن رأى الملك ، قبالته تمثالا جميلاً جداً وهائلاً وعظيماً ، رأس التمثال من ذهب ، وصدره وذراعاه من فضة ، وبطنه وفخذاه من نحاس ، أما ساقاه فمن حديد، و قدماه بعضهما من حديد والبعض مـن خزف . وحين كان الملك ينظر إلى التمثال ، فوجئ بأن « حجراً » بغير يدين قد قُطِع وضرب التمثال على قدميه اللتين من حديد وخزف فسحقهما فانسحق حينئذ الحديد والخزف والنحاس والفضة والذهب معا ... وحملتهم الرياح كغبار ... ولم يوجدوا بعد ذلك . أما الحجر الذى خرب التمثال فقد صار جبلاً كبيراً وملأ الأرض كلها.

فبماذا فسَّره النبى دانيال ؟!

قال للملك ... أنت ومملكتك هذا الرأس الذهبى - فى التمثال - وبعدك تقوم مملكة أصغر منك - الفضة - ثم مملكة ثالثة أخرى تتسلط على كل الأرض - النحاس - وتأتى مملكة رابعة قوية صلبة - الحديد - ، أما عن القدمين وأصابع بعضهما مـن خزف الفخار - الطين - والبعض الآخر من الحديد . فهذا إشارة إلى قوة جزء من هذه المملكة وضعف بعضها وفى أيام ملك هذه المملكة الأخيرة ، يقيم الله تعالى مملكة لن تنقرض أبداً - الحجر - وملكها لا يترك لآخرين ، هى تسحق وتبيد كل هـذه الممالك ... وهـى تثبت إلى الأبد - صارت جبلاً كبيراً ملأ الأرض كلها - والله كأنما كان يخبر الملك بما سيأتى بعده من أمم وممالك هو بدايتها أو رأسها ... وإلى زوال هذه الأمم والممالك والإشارة إلى من سيكون على يديه زوال هذه الأمم والممالك ...

سبحان الله ...

إننا إذن نتعامل مع نقطتين غاية فى الأهمية أولهما البث أو الإرسال أو الوحى الإلهى، وثانيهما علم فك شفرة أو رموز هذا الوحى أو الإرسال الإلهى ، أو علم تأويل الأحاديث .

بخصوص البث أو الإرسال أو الوحى الإلهى فهو شكل من أشكال الإمداد كما سبق وأن أشرنا . وهذا الإرسال الإلهى إنما يتخذ أحد ثلاثة أشكال من حيث الغرض . الشكل الأول هو الرؤيا التحذيرية والشكل الثانى هو الرؤيا التبشيرية والشكل الثالث هو الرؤيا التعريفية . فالنوع الأول يحذر الله عبده فيه من التمادى فى سلوك معين ، أو يحذره من موقف ما ... الخ .

والنوع الثانى يبشر الله فيه عبده بأى مما يُسَرّ به خاطره ونفسه لأنه يستحق هذا من وجهة نظر ربه . أما النوع الثالث ، فهو شكل من أشكال تعريف الله لعبده بخبايا أمور معينة أو نفوس ما أو علوم يريده أن يتفقه فيها من لدنه سبحانه ، وهى العلوم اللَّدُنِّيَّة ، أى التى يمن بها الله - جل شأنه - على بعض عباده الذين اختارهم بإحسانه لهذه العلوم ، ولأداءات معينة فى الحياة بما وهبهم من علم ...

ومن حيث طبيعة التعامل مع تلك الرؤى فإنه يمكن تقسيمها إلى رؤى مباشرة وأخرى رمزية أو غير مباشرة .

فالأولى كما يرى النائم من الله - عز وجل - ، كما يحدث تماماً فى الحقيقة ، وبالتالى فمثل تلك الرؤى لا يتم تأويليها أو تفسيرها ، لأنه كما يرى يحدث تماماً .

وهناك النوع الثانى من الرؤى وهو الذى يحتوى على رمزيات تحتاج لمن يفك شفرتها ويُفسِّرها ... ومن ذا الذى يفك هذه الشفرة الإلهية ، أو يخوض فى « علم تأويل الأحاديث » !! فهو أحد العلوم اللدنية التى يمن الله تعالى بها على من يشاء من عباده .

ولهذا العلم كبار أئمته والذين عَلَّمَهُم الله تعالى من أسرار هذا العلم . وهو ليس من العلوم الممكن تعلمها من خلال المحاضرة والأستاذ والورقة والقلم والكتاب . لأن الأستاذ أصلاً والمُعَلِّم هو الله جلّ شأنه . وفى ضوء المعارف البسيطة المتاحة فى هذا الخصوص ، يمكننا القول أن إشارات رؤى الله تعالى تكون من الوضوح ، بحيث أن الأسماء فيها لها دور ورمز ، والحيز المكانى والزمانى الذى تدور فيه الأحداث كذلك كل منهما يرمز لشئ . ويحتاج فك هذه الرموز لمعرفة ما يقابلها فى كتاب الله وفى الحديث القدسى والحديث النبوى لأنه يمكن القول أنه لفك هذه الرموز عليك بإيحاءات الأسماء والمكان ووصفه ، والزمان الذى

تتم فيه الأحداث وربطها جميعها بما يقابلها من الآيات والحديث . وهذا بفضل من الله مُجَرَّب لتلك الرسائل التى يكون عليها الخاتم الإلهى . أى التى تكون رؤى صادقة من الله تعالى . وهناك القليل من التراث القديم لبعض أئمة هذا العلم تحويه بعض الكتب القديمة ذات القيمة العظيمة ...

قد يتبادر للذهن أن ما ذكرناه عن الرؤى الصادقة ، إنما لأنه يرتبط بأنبياء ، مثل سيدنا ابراهيم وسيدنا يوسف . ولكن هذا غير صحيح ، لأنه عزيز مصر لم يكن نبياً ، بل لم يكن كتابياً مؤمناً ، وكذلك كسْرَى فقد رأى فى منامه زوال ملكه وظهور النبى ﷺ ، وفرعون موسى الذى رأى أنه دخَل البحر بجنوده فغرقوا ، وكان الأمر كذلك فعلاً .

إذن فالأمر كما قلنا هو إمداد من الله سبحانه وتعالى . واعتبره من عطايا وهابيته ورزاقيته . فالرؤيا الصادقة من الله تعالى هى شكل من أشكال الرزق لعبده ، والتى قلنا إنها إما تبشيرية أو تحذيرية أو تعليمية تعريفية . والتى لا يشترط لها أن يكون العبد ذا دين معين . فرزق الله تعالى بتجليات رحمانيته إنما هو لكل عباده . ولكن كل منهم وما يناسبه طبقاً لما هو فيه وما هو عليه . فرزقه كشمسه التى تشرق على المؤمن والكافر ، والشاكر والناكر .

إذا عدت لسابق كلامنا بأول هذا التأمل ، وعندما تحدثنا عن أنواع الأحلام أو الرؤى التى يراها النائم فى نومه ، شملت من حيث الموضوع ... المفرحة والمزعجة والعادية التى ليس لها ملامح المفرحة أو المزعجة ، ولكن مجرد أحداث عادية فى مكان وزمان ما .

وأيضاً من حيث طبيعة التعامل معها ، كان هناك نوعان ، الأول وهو الذى يحدث بحذافيره فى اليقظة وكما رآه النائم أثناء نومه . والثانى الذى يحمل سيناريو معيناً ، ولا يتكرر بحذافيره أثناء اليقظة .

وفى هذا ذهب الرسول ﷺ ... « إن الرؤيا ثلاثة ، **فالرؤيا** الصالحة بشرى من الله تعالى ، **والرؤيا** من تخويف الشيطان ، **والرؤيا** مما يُحَدِّث بها الرجل نفسه » .

وهذا أيضاً ما ذهب إليه أئمة « تأويل الأحاديث » القدامى . وقد تحدثنا عن الرؤية الصادقة التى يبثها الله تعالى لعباده والتى قد تأخذ شكلا تبش[illegible] مفرحاً) أو تحذيرياً (مزعجاً) أو تعليمياً (الشكل العادى بلا انفعالات) .

ومن الممكن أن يمر بك أى نوع من الانواع الثلاثة ولكنها [illegible] صادقة ، لأنها ليست من الله تعالى . وبالتالى لا تُفَسَّر ...!

كيف ؟!

إن استغراق الإنسان وإسرافه فى استغراقه فى ذاته وأهدافها وما يريده ، وتخطيطه للخطط الكفيلة بتحقيق مراده ... إنما يؤدى به لمحدودية نفسه وانغلاقها على ذاتها . لدرجة تخبطها فى مراداتها فى اليقظة وفى المنام . أى أن مثل هذا الإنسان يحيا من أجل نفسه ونفسه من أجل ذاتها وفقط ذاتها ...!

لذلك فهو منها وإليها ... وفيها ... وبها ... ولها ...!! فأصبح لا يرى سواها ، يقظاً أو نائماً ... ! ومثل هذا فرؤياه أو أحلامه لا يعتد بها ، فهى ليست برسائل تحمل مضموناً ، لأنه أسير مرادات نفسه يقظا ونائماً ، وبالتالى فرؤاه لا تعبر إلا عن تلك المرادات .

المصدر الثالث للرؤيا هو الشيطان ...!

مرة أخرى الشيطان ...!

فهو معك ووراءك يطاردك مستيقظاً أو نائماً ، ولطالما أنك الذى فتحت له الأبواب وأعطيته مفاتيحك ...!

وقد تكون من أهل محبة الله تعالى ، لكنه يسمح بتدخل الشيطان الرجيم ، لك فى أحد رؤاك على شكل اختبارى تعليمى ، ليُعَلِّمك كيف تعرف صوت الله ورسائله من صوت الشيطان ودسائسه ...!

وقد يكون من أجل أن لا يصيبك الغرور بعبادتك وتقواك ، أن يختبرك الله تعالى من خلال مثل هذه الرؤى الشيطانية التى يسمح هو بأن يتدخل معك فيها الشيطان ، لكى يسمع منك رأيك فيه هو كربٍّ إله ...!!

هل ستفهم مضمون الرسالة ، وتقول نعم ... أنا مازلت أُحارب ويجب أن أتمسك بربى أكثر وأكثر ... أم تقول مثلما قال بعض الناس فى مثل هذه الحالات ... « إزاى ربنا يسمح إن الشيطان يلعب بيّا وأنا نايم ... ده أنا مصلى ... وعامل وعامل .... الخ » ... إنه للأسف ينطق بلسان حال « **كِبْرالعبادة** » ... أو « **كبرياء العابد** » ... وهو مدخل شيطانى آخر ، ينزلق فيه العابد مُعتبراً نفسه قد وصل بما يؤدى من صلوات وأصوام ونُسُك وخلوات ... الخ ، إلى مرتبة عُلْيا ... !! فاعلم أن صاحب المقام أو الرتبة العالية ... إنما هو مُبْتَلى بأعظم مُنْزَلَق ... ألا وهو خطيئة اللعين إبليس شخصياً ... « **خطيئة الكبرياء** » ... « **اسْجُد** » ... « **لم أكن لأسجد** » ... أى لست أنا الذى يسجد لمثل آدم ! ... ولماذا ... « **أنا خير منه** » ...!!

إنها إذن خطيئة السالكين فى الطريق ...!!! ... وليست خطيئة المتقاعسين عن العبادة ...!!!

إنها إذن ... عبارة عن حروب مسموح بها - من الله تعالى - لاختبار تواضعك مع ربك كعبد ... ولتقوية إيمانك ... ولتدريب حواسك على التقاط أية آثار شيطانية خبيثة قد تحوم حولك ... بأى شكل وفى أى وضع وفى أى وقت ...

وحيث أن الله تعالى عالم بإحاطته ماذا سيفعل الشيطان معك ، وعالم أيضاً أنك بمرحلتك التى تقف فيها ، ستعلم أن هذا الحلم شيطانى لأنه يعلم تماماً أنك تعرف رسائله الإلهية ، وتستطيع تمييزها ، وبالتالى فليست كارثة أن ترى حلماً شيطانياً لكن العبرة باستفادتك بما سمح به الله لك لتعليمك .

يا سبحان الله ... يسمح بتدخل الشيطان معك فى رؤيا منامية ، رحمة بك ولمصلحتك ... ولتوجيهك ولتقويتك ...!!

يا سبحان الله ، يستخدم لك عدوك لتعليمك وتدريبك وتقويتك ، نعم ... فالكل ... أدوات لمشيئته سبحانه وتعالى .

ولكن لكل نفس شاكلتها وكما هى فى اليقظة هى فى المنام ، وهى كما كانت قبل أن توجد حتى على الأرض ...! .

والنفوس الخبيثة هى التى يلعب معها الشيطان دوراً فعّالاً فى يقظتها ومنامها . مع أن أصحاب هذه النفوس فى الحقيقة لا تلاحظ أنهم غير عاديين ...!

وكما أن الشيطان هو صديقها الحميم فى اليقظة ، هو أيضاً مُسْتَقْبِلُها وراعيها فى المنام ...!

والرؤى التى مصدرها الشيطان الرجيم نفضل أن نسميها .. « الأحلام » . والأحلام شيطانية المصدر - وكما ذكرنا فى تأمُّل حروب شيطانية - ليس من السهولة أن تكتشف حقيقة مصدرها ...!

فهى خطط ومؤامرات طويلة المدى . والشيطان اللعين يمكنه أن يتمثل بأى شئ وفى أى شكل - من خلال الأحلام - بما فيهم الأولياء الصالحون والقديسون . لكنه لا يستطيع التمثل بالأنبياء والرسل .

ولتنظر معاً بعضاً من أساليبه ...

قد يرى الشخص فى حياته كلها ... وأثناء نومه أحلاماً ليست بالكثيرة ...

بمعنى لا يرى كلما نام حلماً ، ولكن على مراحل زمنية متفرقة ... ولكن الغريب أنه كلما رأى حلماً كان هذا الحلم فيه موت شخص أو وقوع أحد أصدقائه من الشُرفة ... أو مرض أحد والديه أو تحطيم سيارته ... !! وكل ما يراه يتحقق كما هو ...!!

أى هناك نوع من التخصص فى الحلم وهو « النوع المزعج » وأصحاب مثل هذا الحلم يتخليون أنهم من الأولياء أو القديسين الصالحين ...!!!!!

لكنه فى الحقيقة الشيطان ، فإن الشيطان إن جرَّدته من كل الرتوش والمساحيق المفتعلة التى يستخدمها ... كناصح ... وكصديق ... وحريص عليك ... الخ . إن جرَّدته من كل هذا تجده يريد الإطاحة بك ، لسببين ذكرناهما سابقاً ... وهما أن جده الأكبر - قاتله الله - ناصب آدم وكل أبناء آدم العداء وُطرد بسبب ذلك من الجنة ، والسبب الثانى أن كل الشياطين تعتبر أن لها حقاً تاريخياً فى الكرة الأرضية كمزاعم حق اليهود فى فلسطين ، لأنهم كانوا هم أول من سكن الأرض قبل خلق آدم واستعمار ذريته لها ! إذن فالعداء حقيقى ومتأصل ، ولكننا نتوارى من تلك الحقيقة ، وبعبارات متكررة ... معقولة ... أنت بتصدق الحاجات دى ...!!

هل تتخيل أن مثل هذه الأحلام مصدرها الشيطان ..!

كيف ؟! خاصة وأن الحلم يتضمن أحداثاً مستقبلية لم تتحقق بعد ..!

... أولاً هذه النوعية من الأحلام تحمل أحداثاً مستقبلية قصيرة الأجل جداً ... والشيطان هنا عندما أخبرك ...إنما أخبرك بما يُحزِنُك ويُتعسُك ولتعيش به مهموماً قبل حدوثه ، ناهيك عن أثره عليك بعد حدوثه . وبمنطقَ آخر ... « انتظار البلا ولا وقوعه » ..!

فهو يريدك حزيناً مهموماً تعيساً خائفاً أطول فترة ممكنة وهذا أحد أهم أدواره معك . **« إنما ذلكم الشيطان يُخوِّف أولياءه »** .

أما عن كيفية إبلاغك بالحدث قبل حدوثه ، فهذا بسيط جداً .

... إن هناك ما يعتبر غيباً محضاً وهو الذى يحتفظ به الله سبحانه وتعالى . وهناك الغيب المعلوم والذى يعلمه آخرون وإن كنت لا تعلمه أنت ...!!!

فمثلاً لو أن لك قريباً بأحد السنوات الدراسية ، واستطعت أن تحصل له على نتيجته من الكنترول وعلمت أنه راسب . إذن فكونك قد دخلت الكنترول وعلمت النتيجة ، إذن فهى لك معلوم وليست غيباً .

ولكـنك لم تُخْـبِر قريبك بما علمـت ، إذن فهـى غيب بالنـسبة له ، لكنها « أمر معلوم » بالنسبة لآخرين ... أنت ... وَمنْ بالكنترول ... الخ .

إذن فهى بمثابة « الغيب المعلوم » . هى لقـريبك غيب ، لكنها لآخرين أمر معلوم .

... و هذا هو تمام ما حدث مع الشيطان و الأحلام التي بثها لضحيته أو لصديقه أثناء نومه . فمثل تلك الأحداث التي لم تحدث علي الأرض فعلاً نزل علمها للسماء الدنيا و تناقلتها و تكلمت بخصوصها الملائكة ...! و لتعتبر أنت أن هذا هو الكنترول الذي يحتوى على المعلومة ... والتى لم تعد غيباً محضاً ، ولكنها فى نطاق الغيب المعلوم . لكنك أنت أو من سيصاب بهذا الحدث لم تعلموا بعد ، لأن الحدث لم يحدث أصلاً .

أنـظر ... إنـه يضـرب عصفـورين بحجر واحـد ، أولاً يـوحى إليـك أنـك أحـد « المكشوف عنهم الحجاب » ...!! لأن ما تراه يتحقق ...!

ثانيا يجعلك تعيش فى الأحداث المأساوية وبما ينطبق عليه ... « قبل الهنا بسنة » ... لكى يضمن لك أطول فترة اكتئاب وهموم وأحزان ممكنة ... انظر لحجم المحبة ...!

ومثل هذا الشيطان ... محترف شيطنة وأبلسة والعياذ بالله وليس من النوع البسيط ولكن من ذوى القدرات فى عالمهم .

انظر لنوعية أخرى من الأحلام ... والمقصود بها التخويف أيضاً والإفزاع النفسى لرائيها ... بالرغم من كونها لا تتحقق هذه المرة ...!

قد يرى أحد الأشخاص نوعية من الأحلام كلها على شكل مفزع كأن يرى نفسه يُـضرَب دائما ممن هو أقوى منه . أو يرى أشكالاً مخيفة . أو يرى أنه يُلْـقَى به من فوق جبل مثلاً . أو يرى بعضاً من الحيوانات المتوحشة تفترسه ... إلخ .

كل هذه رؤى أو أحلام ... سيناريو ... وحوار ... وإخراج شيطانى ، وإن كان نفس الشيطان فى الصباح يتودد لك بالهمس فى أذنك على طريقته المعتادة ، ولكن متى كان معك حيث لا إرادة لك أثناء نومك ... كان كما يحب أن يكون معك على حقيقته .

قد يرى بعض الزُّهَاد والعُبَّاد أصحاب التقوى أيضاً - كما ذكرنا - أحلاماً شيطانية ، ولكن بما يناسبهم هم ...!

مثلاً يُظْهر الشيطان هذا الزاهد أو العابد أو الشخص الصالح ، فى صورة من يتم تكريمه من الكُلّ ، ويرتدى من الثياب ما لم يحلم أن يرتديه ، ويتقلّد من الجواهر ما لا يمكن تخيله ... ويرى من يقول له مثلاً ... إنك عابد مخلص لربك ... وهذا مقامك عنده ... إنك من أحبائه .. أى أحباء الله تعالى ... ما المقصود بذلك ...؟!

المقصود طبعاً إصابة نفس هذا العابد أو الصالح بالغرور الشيطانى المدمر ، ولكى ينصرف بقلبه عما هو فيه ، ولكى يهبط مقامه الحقيقى - والعياذ بالله - عما هو عليه الآن .

وللأسف هناك البعض الذى لا يفهمها ، وتجرى فى نفسه لتعصف وتطيح بها ، كما إراد له عدوه ...!

قد يرى بعض العُلَمَاء رؤى أو أحلاماً شيطانية تضليلية ...!

فالعَالِم هنا أخطر من الشخص العادى ، لأن له أتباعاً وتلاميذ وجمهور قراء ومستمعين ... بالتالى ... فالكارثة أعظم ...!

ولكن الشيطان هنا ذو درجة دهائية وعلمية تفوق الوصف ...!

... لأنه مُكلّف بعالم ، إذن يجب أن نتوقع أن يكون على هذه الدرجة ، وإلا لن يستطيع النفاذ إليه .

فمثلاً قد تكون هناك مشكلة عقائدية تراءت لهذا العالم وتؤرقه فيرى فى نومه أن شخصاً يبدو عليه الوقار والهيبة يتحدث معه وكأنه أكثر منه علماً وقيمة ، وكأنه جاء ليُعلّمه ، أى ليُعلّم هذا العَالِم ... ! ... ويفتح معه النقاش فى نفس الموضوع الذى يؤرق هذا العالم . وليبث له السّم وسط جملة فى الحوار وتكون هى المقصود بعينه .

ويستيقظ مثل هذا العالم وهو متخيل أنه قد عثر على كنز ، أو كأن جاءه أحد الأنبياء وَدرّس له وأفهمه وحلّ له مشكلته ...!

وخاصة أنه لمثل هذا العالم من يتتبعونه من الجمهور العادى والذين يحتاجون علمه . وانظر فى مثل هذه الحالة لحجم الضرر ... إنه قاتل ..! ولو أن نور الله وهداه مع مثل هذا العالم ، سيُبَصِّره بالحقيقة ، قبل وقوع الكارثة وانتشار الفكر الشيطانى على أنه فكر عقائدى مثلاً . وسقوط الآلاف ، بل والملايين فى براثن هذا الفكر الشيطانى المُلَفّق ، وتوارثه جيلاً بعد جيل ...!

شكل آخر من أشكال الإغراق الشيطانى أثناء النوم .

وهو صرف الناس عن ربهم لعبيده ...! واتخاذهم هؤلاء العبيد شفعاء لهم ... أولياء ... وقديسين ...!!

تجد مثلاً من يقول لك ... رأيت الولى فلان فى نومى وقال لى ... لو عايز إبنك يخف ... اعمل كذا وكذا وكذا ... روح فى مقامى وادفع كذا ... واشعل شموعاً لونها كذا ... الخ . أو يقول لك رأيت القديس فلان ... لابساً كذا ... « وطبطب على » وقال لى « ما تزعلش يا بنى ... هى بنت حلال ... والشيطان راكب دماغها ... حروح لها واخليها ترجع لك ...!! بس روح فى الدير عندى وولع الشمع » ...!!

والغريب أن صاحب هذه الرؤيا أو هذا الحلم يفعل ما طلِبَ منه والأغرب أن النتيجة إيجابية ...!

كيف ذلك ...؟!

ببساطة شديدة ... وبعد ذهاب الشخص وتنفيذه لما هو مطلوب منه ، من الممكن أن يجد أن ابنه قد شفى ...! كيف ...؟! وهل يستطيع الشيطان أن يشفى أحد من مرضه ؟!

لا ... الشافى هو الله تعالى ، ولكن لكل شئ سبب . ومن أدرى هذا الشخص أن علة ابنه أو مرضه عضوية . بمعنى أن الكثير من الأمراض غير العضوية والتى تتسبب فيها الشياطين - فى توافر ظروف مواتية لذلك وليس مجال الحديث عنها الآن فى هذا المقام - تأخذ أعراضاً عضوية ... مثل عدم انتظام ضربات القلب ... أو تحريك بعض الأعضاء بصعوبة ... أو الاكتئاب ... أو الشلل النصفى غير الحقيقى ... أو عدم ثبات الحمل عند بعض السيدات ... أو عدم حملهن مع عدم وجود عوائق علمية أو عضوية ... الخ . نعم باقتراب الشيطان من الانسان أكثر من اللازم وتداخله معه فى حياته ، تبدأ حياة الإنسان فى التداعى والتفسخ إن لم يكن للإنهيار والعياذ بالله .

وعودة للأحلام شيطانية الصنع والجوهر ، نقية الشكل والظاهر ..! ولما رآه الشخص من أن الولى فلان قال له ... افعل كذا ... ففعل ... كى يشفى ابنك ... فشفى ... إن مثل ذلك الحلم ... وبعد شفاء الطفل الذى كان مصابا بمرض غير عضوى ، ولربما كان الشيطان الذى مَثَّل هذا الحلم وظهر لأبيه هو نفسه المتسبب فى إيذاء ابنه . فما الذى

استفاده هذا الشيطان بعد أن فعل الأب ما طلب منه . أولاً ... الشيطان انصرف عن الإبن فعاد الابن لطبيعته ... وحتي هنا لم يستفد الشيطان من الشموع التى أُشعلت شيئاً ولا من النقود التى وضعت فى صندوق الزكاة أو النذور بذلك الجامع شيئاً ... ولكن لنتابع معاً حواره الثانى مع الشخص الآخر ... ولنستخلص النتائج فى النهاية . لقد استيقظ الشخص الآخر وهو يقول « جاءنى القديس فلان لابساً كذا وقال لى أعمل كذا وكذا ... وحعقّل لك مراتك وأرجعها لبيتها ... » !

وكالمعتاد وبعد أن يقوم الشخص بفعل ما هو مطلوب منه ، يجد أن زوجته تبادر بالاتصال به والاعتذار له ، وأنها نادمة عما قالت وفعلت .

ما هذا ...؟!

أيلعب الشيطان دور المصلح الإجتماعى ... نعم ... متى اقتضت الضرورة ...!

كيف ...؟ ولماذا ؟

أولاً ... كل ما فعله هذا الشيطان أنه ذهب لزوجة الشخص ، وهمس فى أذنها بإلحاح وإصرار ومطاردة ، وهى تستمع وكأنها تراجع نفسها عما بدر منها تجاه زوجها وأولادها ...! ولربما كان هذا الشيطان نفسه هو الذى أقنعها قبل ذلك بترك زوجها ...!

ولكن هذه المرة أصلح بينهما ... لماذا ؟ وما استفادته ؟ خاصة وأن ما فعله الشخص هو ذهابه لدير كذا ... وفعل به كذا وكذا وكذا ... أى أنه سواء فى المرة الأولى مع الشخص وابنه ، أو فى المرة الثانية مع الشخص وزوجته ، لم يحصل على استفادة صريحة !!

نعم ... لم يحصل حتى الآن على استفادة صريحة من كل ما حدث ، لكنه فى الأجل الطويل ... قد ضمن أن الشخص الأول متى وقع فى أى ضائقة سيتوجه بعقله وقلبه مباشرة للولى فلان ... وضمن أن الشخص الثانى أيضاً مع أية مشاكل تواجهه ودون انتظار لأحلام سيتوجه بقلبه وعقله لدير فلان للقديس فلان ... ويبدأ كل منهما يطلب من الشيخ فلان والقديس فلان كل شئ . ليس هذا فقط بل سينصح كل منهما أقرباءه وأصدقاءه ، بالتودد والتقرب للشيخ فلان والقديس فلان ... إنتظاراً للمعجزات الإبليسية ...!

إن الناتج النهائى هنا يفوق الوصف ، فقد اتجه أشخاص بمحض إرادتهم لبشر يسألونهم الشفاء ، والصلح وإنجاب الأطفال ، والنجاح فى الأعمال ، وتليين قلب فلان ، والإنتقام من فلان ... إلخ ...!!

إنه ناتج بشع ... وهو تحويل قلوب الناس وأنفسهم لغير الله تعالى ، لأناس لا يملكون لأنفسهم شيئاً . بل والترويج لذلك من خلال نشره فى مؤلفات تسمى « **كتب معجزات** » ولئن تحدثت مع أى من هؤلاء المعتقدين فى الأشخاص ... سيقول لك ... يا أخى ... أنا بطلب من ربنا ببركته وشفاعته يقصد ببركة شفاعة الولىّ أو القديس ...!!

إنهم بذلك يخلطون بين هبّات الله الربانية وبين الأفعال والأحوال الشيطانية . والفارق بينهما شاسع ... وهناك الشكل الشيطانى الرائج من الأحلام ... وهو أن تستيقظ وأنت غير متذكّر أى شئ على الإطلاق . ولكن كل ما أنت متأكد منه أن رأسك ستنفجر ...!

ثقْ فى ربك واطلبه دائماً ... يضع أعداءك تحت قدميك ...!

....

....

• التأمل الثالث عشر •

ورقة عمل الخليفة

تأدَّبْ مع ربك الله وأحبه من كل قلبك ...

ولتعلم أنه **خلقك محبة** ... ليعطيك ... ولم يخلقك كراهية ليشقيك ... عظَّمَ قدرك فى الكون ... وسخَّر لك ... منافع كل ما فى أرضه وسماواته .

سلَّطَكَ على كل صنعة يديه ، علَّمَكَ ما لم تكن تعلم ... جعلك خليفته فى أرضه ... لتُقِرَّ عليها شرائعه وأحكامه ... أنت خليفة ربك فى أرضه ... فاشهد له بما يليق به ...

إشهد أنه لا إله إلا هو ربك الله ، خالق كل شىء ، مُدبِّر كل شىء ، مُصَرِّف كل شىء فاعل كل شىء ، رب كل شىء ، بيده ملكوت كل شىء ، إليه يحتاج كل شىء ، وبدونه يفنى وينهار كل شىء ، وهو المستغنى عن كل شىء وأحد .

اشكره أن أوجدك فيما أوجدك فيه ، ثِقْ فى حبه لك ومطلق عدله ، وأنك باختيارك أردت ، وأنك لو أخترت الآن مرة أخرى - وأمامك كل المعانى والبدائل والمتغيرات والممكنات - لاخترت ما أنت فيه كأفضل ما يكون الإختيار ، ثق فى رحمته وحكمته ، ثق فى أنك عبده الذى أحب ، فكرَّمك بما يليق به كرب إله . كرَّمك بخلافته وسيادتك على أرضه ، وبثقته فى حملك أمانة شرائعه .

أحاطك بفيوضات رحماته من أرضه وسماواته ، وجعل منك أهم ما خلق ، وكل مخلوقاته ما يُرى وما لا يُرى يحترمونك كسيِّد ، لأنك خليفة الله الذى قد سيَّده الله تعالى على كل شىء .

فاشهد له بما يليق به ، اشهد له أنه الذى .. « **ليس كمثله شىء** » ، وقدِّره حق قدره ومقداره العظيمين .

ولا تخلط بين ذاته وأفعاله . فذاته ... من .. « ليس كمثله شىء » ، أما أفعاله - ما نعرف وما لا نعرف - لا تحيط « بالذات » ولا تجعلها أمراً مقروءاً .

بل أن كل تجليات الفعل حولنا - ما نرى وما لا نرى - إنما تشير إلى « القدرة » وأن صاحبها « فعَّال » ... أى يفعل أى شىء باقتدار ، ولا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، وكل ذلك لا يقرأ حرفاً مفهوماً عن « ماهية الذات » ، وإنما يشير إلى إطلاق القدرة الفعالة .

وما ينطبق على « الأفعال » ينطبق أيضاً على « الأسماء » و « الصفات » لأن الأسماء والصفات ، إنما هى من اشتقاقات الأفعال أو تسمية أو وصف الحال .

وبالتـالي ، فلا الأفعـال ولا الأسمـاء ولا الصـفات تحيطك علماً بـ « الذات » . فأرِحْ نفسك ... وصِفْ ربك بما يليق به ... « **ليس كمثله شيء** » .

لا تُشْرِكْ به شيئاً ولا أحد . فالشرك الأكبر - والعياذ بالله - أن تشرك معه في العبادة شيئاً أو أحد . مثل من يشرك الشمس مع عبادته لله ، أو من يشرك شخصاً تحت أي مسمى مع الله . فمثلاً الدعاء من أركان العبادة ، وتوجهك بالدعاء والطلب ممن هو غير الله ، هو إشراك في توجيه وجهك وقلبك بالعبادة .

يستوى في هذا من يطلب من « الولي » أو « القديس » فلان ، مع من يتجرأ على « ذات الله » ، بالكلام عن وصفها أو جوهرها ، وأنها تقوم على صفات ذاتيه كذا ، .. كذا ... ، ويتم الحديث عن « كل .. كذا » على انفراد ، حتى وإن جمعهم هذا المُحَلِّل لذات الله في أنهم جميعاً « كذا ، وكذا ... إلخ » هم في مجموعهم وجوهرهم الله ، فقد أشرك بربه ، لطالما يخاطب الله ويعبده وفي ذهنه وفي نفسه ، أن الله تعالى ... عبارة عن ... أو يتركب من ... أو تقوم ذاته على صفات كذا ... !!!

وأعطى لنفسه الحق أن يتكلم عن كل « مُكَوِّن » على انفراد ... أن اسمه كذا .. ويفعل كذا وكذا ... وهذا المكون موجود زمنياً مع المكون الآخر منذ ... !!

لن يلغى الشرك بالله – هنا – أن يقول هذا المحلل لذات الله ، أن كل هؤلاء هم الله الواحد ! ... لقد تجرأ هذا المحلل على « **ذات الله** » .. الذى « **ليس كمثله شيء** » ... وأهبطها إلى إمكانية التحليل ، وفعل الأفعال ، وتسمية الأسماء ، ووصف الصفات ، وإدراك العقول ...

أهبطها بذلك إلى مستوى الأشياء ، وإن قال أنزه الله تعالى عن التشبه بشيء ، فهو ينزه الله عن كل شيء ما عدا ، تحليله لمكوناته وتسمية كل مكون وتخصص فعله ... !

نقول له ... لا ... نزه الله عن كل شيء بما فيه « تحليلك لجوهر ذاته » ، تكون لحظتها عابداً لله الواحد بحق .. ! وسبحان ربك رب العزة عما يصفون .

.. « **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** » .

.... (النساء : من ٤٨)

كان ذلك بخصوص « الشرك الأكبر » ، والذى لايغفره الله تعالى أبداً ، إلا لو تخلى صاحبه عما هو فيه ، وأسلم وجهه لربه الواحد بلا شريك ، واستسلم له .

أما عن « **الشرك الأصغر** » فهو أن تفعل الفعل - أي فعل - تضرب به عصفورين بحجر واحد .. ! .. فأنت مثلاً تخرج صدقة لمحتاج ، وتحب أن يراك الناس وأنت تفعل ذلك مع أنك .. فى حقيقة الأمر تريد أن تساعد هذا المحتاج لله ودون مقابل منه - من المحتاج- إلا أنك أردت بعملك ... « **شركة من المستحسنين** » ... الله تعالى ... والناس ، لكى تكون من منظورهم مثالاً لرجل البر والتقوى .

هذا هو « الشرك الأصغر » ، والله تعالى يقول لك ... أشركت معى غيرى فى عملك وأنا أغنى منهم ... فلهم ما عملت ... وسيقولون عنك ... أنك رجل جواد وكريم ... لهم ما عملت ... أنا أغنى الشركاء ... ولا أحتاج لما عملت أنت ... لهم كاملاً كل ما عملت ... !

إنما عملك يجب أن يكون لى وحدى ... لوجهى ... لا تقصد به سواى ... وإن كان كذلك ... ستجده عندى ...

ربك عند ظنك به ... فأحسن الظن بربك ... تشملك فيوضات رحماته .

وليمتَلِءُ قلبك بربك ... فهو سبحانه الذى لا تسعه أرضه ولا سماواته ، ولكن يسعه قلبُ عبده المؤمن . املأ قلبك بربك تكن هذا المؤمن ... والذى هو أرحب من السماوات والأرض وأكبر .

فَكِّرْ ... وقرِّرْ ... !

من هو المستحق الحب .. ؟

إن أحببت أباك وأمك وابنك ونفسك ... فحبك له أولى ... !

فهو الذى أعطاك ما أعطى ... الأب والأم والإبن والنفس والأخ وما تأكل وما تشرب. أعطاك نفسك ... ووجودك ... ومن حولك ... وما حولك ... وسلم لك كل شىء ... ولم يسلمك لشىء .. !! ... أو ليس حبك له أولىً ؟!

إن كنا نحب ونتعلق بمن نحب لأسباب فما هى أسباب الحب ؟!

أتحّداك ... أنك تحب العطّاء ... وتحب الذى يحبك ... وتحب من يخاف عليك ... وتحب من يغار عليك ... وتحب من يستمع إليك ...

إنه العطّاء الذى أعطاك ويعطيك وسيعطيك لأنه يحبك ولا يرضاك لما لا يليق بك ، إعزازاً لك وغيرة عليك .. وهو الذى يستمع إليك فى شكواك وحاجتك .. ويدبر لك الأمر من السماء ... وهو الذى يعطيك كل الذين يحبونك فيغدقون عليك مما أعطاهم هو لك ... فتحبهم هم ... وتنسى من حبه لك أعظم ... ! وهو الذى يقول لك ... **إن أتيتنى تمشى ... أتيتك هرولة ... !**

سبحانك يارب ... إن أتيناك نمشى ... تأتينا هرولة ... !

حقاً ... إن فى هذا لكشف عن سر الأسرار ...!

أئذا مشينا لرب العزّة جلّ شأنه ... أتانا هو يُهرول ...!

ومن نحن ... ومن هو ...!!

إن سر الأسرار ، إنما يكمن فى « **علاقة الحب** » التى أوجدها وبدأها هو جلّ شأنه ... بينه وبين عباده ...

ومن ناحيته - عزّ وجلّ - فقد أظهر حبه منذ أن قَدَّر الخلق وأظهره ، ومروراً بكل شئ ... ووصولاً لما نحن فيه ... ووعوداً لما يحب هو - جلّ شأنه - أن نكون - نحن - فيه وعليه ... فى النهاية ...!

أظهر هو - تعالى - ويُظهِر ... ووعد بإظهار تجليات هذا الحب الأعظم منه لنا ...

... ولكن الخَلَل ... كل الخلل ... أن تكون علاقة حب من طرف واحد ...!

بل يجب أن يكون الحب هو الدافع للعبادة فتكون « **عبادة حب** » أو « **الحب المُؤدِّى لإخلاص العبادة** » ... لا أن نكون كأجراء السوء ... الذين يعملون عند سيِّدهم انتظاراً للأُجْرَة ...!!

بئس العبد ... ذلك الأجير ...!!

وإن لم تكن تعلم بهول الحب ... والذى بالضرورة ... لابد وأن يتناسب مع عظمة وقَدْر المُحِبّ « جل شأنه » . فلك أن تتأمَّل وتتفكرّ ......

... ولك أن تتخيل كيف يحب من أظهر الحب وأعطى منه لعباده ... به يتحابون ...!

... ولك أيضاً أن تتخيل أن المَعذَّبين منه فى النار لسوء ما فعلوا ... إنما قد أساءوا إلى حبه ... ومن أجل عِظَم حبه ... وعلى قَدْر عِظَم حبه سيكون عِظَم عذابه ... نعم ... حتى عذابه للأشقياء ... إنما سيكون بسبب فرط حبه لهم ...!!!

وانظر لمضامين الحب ... والتى هى سر أسرار علاقة ربنا الله تعالى بعباده ... وانظر لعتاب المُحِبّ العظيم ... لأحبائه ...

... « **ومن الناس مَنْ يتَّخذُ من دون الله أنداداً يحبونهم كحُبِّ الله ، والذين آمنوا أشَدُّ حُبّاً لله ...** » .... (البقرة : من ١٦٥)

... « **فسوف يأتى اللهُ بقومٍ يُحِبُّهم ويحبونه ...** » .... (المائدة : من ٥٤)

بالإضافة للعديد ... والعديد من آيات الحب والمودة ... والترغيب ... المليئ بها القرآن العظيم ... والتى قد نطق بها كل أنبياء الله تعالى ...

وهـا هـو سيدنـا المسيـح ﷺ ... حـين سُئِل عن الوصيـة العظـمى فى شريعة التوراة ... قال ...

... « **تُحب الربَّ إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ... هذه هى الوصية الأولى والعُظمى ...** » .... (متى ٢٢ : ٣٧ ، ٣٨)

وقد قَدَّم لنا رب العِّزة جل شأنه أعظـم آيات الحـب والمـودة ... منـه لعبـاده ... وهو مَنْ هو ... ؟!!

وقد وعد بالأعظم والأعظم ... ولكن هو - تعالى - قد قدَّم بالفعل ... أما نحن ... فدورنا أن نثبت أننا جديرون بهذا الحب ... بحب يليق بعظمة وجلال المحبوب - جل شأنه - ومن خالص قلوبنا ... وأعلم أنه لا يستفيد بعملك أو بحبك ... بل أنت المستفيد ...

ومهما كنتَ فى أى خطوة ... على خريطة مسارات وأداءات حياتك ... حتى وإن كنت تقف فوق كل جبال المعاصى والخطايا ... فاعْلَمْ أنه - جل شأنه - من أجلنا قد سَمَّى نفسه الغفور الرحيم ، وهو يفرح برجوع عبده التائب إليه ، بأكثر وبأعظم من فرحة الأم التى عاد إليها طفلها بعد أن طال فراقه لها ... ولئن أتيته تمشى ... سيأتيك هرولة ...!

... وسيقبلك مهما كان فعلك الذى فعلت ... تذكَّر أنه من أجلنـا قـد سَمَّـى نفسه الغفور الرحيم ...

عُدْ إليه صادقاً ... وانعم فى قربـه بتجليات وإشراقات فيوضات الرحمن الرحيم الغفور الودود ...

واصنع من نفسك ... ما يليق بأنك المحبوب من رب المحَبة جلّ شأنه ... وبما يليق بأنك مُحبُّهُ الصادق ... « **واستَقمْ كما أمرتَ ...** » ... وهذا هو جوهر الاستقامة ، وتهيئةً لترشيدها بمنهج الشرائع ... « كَمَا أُمرتَ » ...

يارب لكى نكون المستحقين لحبك ... وجِّهْنَا بوجهك لوجهك ... وَطهِّر قلوبنا من كل شىء ... لنكون أهلاً لك ... ولحبك ...

إستسلم لربك تجد نفسك واستغفره وتُبْ إليه عن كل أيامك تجده غفوراً تواباً رحيماً .

وأعبده حباً ... لأنه المستحق وحده محبتك ... صلِّ محبة فيه ، زكِّ محبة فيه ، صُمْ محبة فيه ... إسمح لنفسك بما سمح لك ، وانته عما نهاك عنه ... ليس لأنك يجب أن تفعل ولا تفعل ، ولكن لأن هذا هو سلوك المُحبيِّن مع مَنْ يحبون ...!

أطعْهُ يُطعْكَ كُلُّ شيء ... وادعُ إلى طريقه وعِّرف الناس به وثقْ في وعده ... وتوكَّل عليه ... وفِرّ إليه ... من كل شيء وأحد ...

لا تترك دورك ... أنت مهم ... !

إن كان قد أحبك من خلقك ولذلك خلقك ، وصنع لك ما صنع ، وسخَّر لك ما سخَّر ... وأنت خليفته فى أرضه ... إذن فأنت مُهِمّ ... !

أنت مهم لربك ... ولكل ما حولك ... ولكل من حولك ... أنت ذو قيمة تجهلها ... !

فالكون ... كل الكون ... مجموعات متجانسة من المفردات التى تُكوِّن كل منها كمجموعة متجانسة ... « أُمَّة » من الأمم التى خلقها الله تعالى . فالطيور أنواع من الأمم ، والحشرات أنواع من الأمم ، والحيوانات أنواع من الأمم ... إلخ .

وأنت كأحد المُنتمين لبنى الإنسان مفردة فى الأمة الإنسانية أو المملكة البشرية ، وكفرع من هذه الأمة فأنت مفردة فى شعب من الشعوب ، وتنتمى لأسرة فى مجتمع هذا الشعب . **إذن فَلَكَ وجود على خريطة الإنسانية ... !**

والكون حولنا كما تعلم هو « معزوفة التناغم والتكامل » التى أبدعها ربنا الله تعالى . وكل ما حولنا - ما نرى وما لا نرى ، ما نفهم وما لا نفهم - نحن نتعامل معه ونحْتكّ به تأثراً وتأثيراً .

والله تعالى لم يخلق « **زيادات** » أو « **فوائض مُخَلَّقة** » من مواد زائدة خوفاً على تلفها مثلاً ... !

بل كل ما خلق الله ليس زائداً عن احتياج الكون ، بل من أساسيات الكون ومن مفرداته وأدواته ذات التأثير ، وأيضاً كأحد عناصر وأدوات مشيئة الله تعالى .

كيف ؟

أنت مثلاً « مواطن مصرى » ، تأكل وتشرب وتتزوج وتنجب وتعلم أولادك ، وتعمل بمهنة معينة .

إجلس مرة متأملاً فى بيتك ما يحدث ... على مائدة الغذاء مثلاً ...

أنظر للأطباق التى على المائدة وما فيها ... وأنظر ... حتى ... لرغيف الخبز .... حَلِّلْه .. !

ستجد أن هناك أكثر من ثلاث مهن اشتركت معاً لتحصل أنت على هذا الرغيف ، ولولاك ... أنت وأسرتك ... وكذلك باقى الأسر ...لما عمل هؤلاء بمهنهم ... الفلاح ... الطحان ... المخبز ... البائع ... إلخ .

أنظر لطبق الخضروات ... ستجد اشتراك أكثر من خمس مهن لتحصل أنت عليه ... ولولاك ... ولولا الآخرون مثلك الذين يطلبون نفس هذا الطبق ... لما عمل هؤلاء أيضاً بمهنهم ...

أنظر لأحد مُعَلَّبات المواد الغذائية المستوردة والتى على مائدة طعامك ، وأقرأ ما عليها إنتاج مزارع ... كذا ... باليونان - مثلاً - تعبئة مصنع كذا ، إستيراد فلان ... وباعها لك فلان ... إلخ .

ما هذا أأنت تجعل الآخرين يعملون من أجلك فى بلدك وفى الدول والقارات الأخرى ، مزارع ... ومصانع ... ومُصدِّرون ... ومستوردون ... وبائعون ... إلخ !!!

وأنت كذلك ... ! أنت تؤدى ويحتاج الآخرون لأدائك وتستفيد أنت بثمرة هذا الأداء ... إذن فلك دور محسوس جداً ... تؤثر وتتأثر ... وهو ما عبَّرت عنه حكمة الله تعالى فى محكم كتابه ...

... « ولولا دَفْعُ الله الناسَ بعضَهم ببعض لفسدت الأرضُ ولكنَّ اللهَ ذو فضل على العالمين .. » .... (البقرة : ٢٥١)

إذن فقد خُلقتَ لتُكمل وتتكامل وتتفاعل ، وليس لتنفرد ... !

... إذن فأنتَ مُكوِّن أوَ أداة من أدوات مشيئة الله تعالى المُنَفِّذَة لحكمته فى كونه .

... إذن فأنت أحد العناصر الفعَّالة فى هذا الكون غير المحدود ، ووجودك ليس وجوداً زائداً بل أساسياً ... ويستحيل على حكمة ربنا الله - وحاشاه - أن يأتى بزيادات أو فوائض غير ذات ضرورة أو قيمة .

راجع أوراقك مرة أخرى ... الله يحبك ... أنت خليفته فى أرضه ... أنت صاحب دور أساسى فى الأرض ... وهذا الدور يأخذ شقين ، الشق الأول أنك خليفة الله فى أرضه لتطبيق أحكامه وشرائعه ، والشق الثانى أنك مفردة من مفردات مشيئة الله فى حكمة « دفع الله الناس بعضهم ببعض » ... والشق الثانى هذا إنما ينطوى على ممارسة حياتك كإنسان له أهداف وطموح وميول ، يتعلم ، يأكل ، يشرب ، يتزوج ، ينجب ، يشترى ، يؤجر ، يستأجر ، يفرح ، يحزن ، يمرض ، يشفى ... إلخ .

والشق الثانى لا ينضبط إلا بهيمنة الشق الأول عليه فلكى تنضبط أداءاتك فى الحياة جميعها - وكذلك كل الناس - عليك بتطبيق ما ائتمنك عليه من أحكام وشرائع - كخليفة على كل أداءات الحياة .

وبمعنى تطبيق أحكامه وشرائعه ، فى علاقاتك ، فى أكلك وشرابك ، فى معاملاتك ، فى أسرتك ... زوجتك ... أولادك ... أبيك ... أمك ... فى عملك ... إلخ .

وليس من تطبيق شرائـــع اللــه فى شيء أن تصلى وتصوم وتزكى وتحج ، انفصالاً عن حياتك !!

وبمعنى أن نجدك تطبق ... الصلاة فى وقت الصلاة ... ومن أجل أنها صلاة ... ! والزكاة والحج وأى شكل آخر من أشكال العبادات ، تؤديه كعزف منفرد مع نفسك !

ونجدك فى باقى أوجه الحياة إنساناً آخر ... !

لا ... إن خلافتك لربك فى أرضه ، إستناداً لشرائعه ، إنما لتنضبط بها حياتك كلها صغيرها ... وكبيرها ... حلوها ... ومرها ... من أول رؤية عينيك للنور صباحاً ... وحتى إغماضهما مساءً ... وحتى آخر لحظة .. بكل ما يمر بين هاتين اللحظتين - من لحظة إستيقاظك إلى لحظة نومك - من أحداث ومواقف وتعاملات وعلاقات وتبادل كلمات ومجاملات واتهامات ... وأدائك لعملك بكل تفصيلاته ...

ليست الخلافة والشرائع ... أن تصلى وقت الصلاة وبعدها ينتهى كل شيء ، أو تصوم تطوعاً - فوق الفرض - وأنت كما أنت لا يُغَيِّرك شيء .. !

ولا تنسَ أننا كنا بصدد مناقشة « خلافة الله فى أرضه وتطبيق شرائعه » ، و « دفع الله الناس بعضهم ببعض » ، وقلنا أن الثانية وهى المتعلقة بالتحرك فى الحياة ، والأولى هى أداة ضبطها واستقامتها ...

إنك بسلوكك الذى يعزل « العبادات » .. صلاة .. وصوماً .. إلخ ، عن «شرع الله» ، واكتفائك فقط بممارسة العبادات وبمداومة تُحْسَد عليها ، إنك بذلك تكون قد أخذت من « شريعة الله » ما يريح « ضميرك » ... وكاعتياد وراثى مثلاً ، مع إهمالك لباقى شريعة ربك ... !

كيف إذن ينضبط قانون « دفع الله الناس بعضهم ببعض » ؟!

إن ما نلحظه حولنا من تهالك قيم ومبادىء وأخلاقيات وسلوكيات ، إنما مرجعه الحقيقى وجذور خلله ... هو فصل « العبادات » وخاصة التكرارية كالصلاة مثلاً ... عن « شرع الله ودور الخلافة » ، وبالتالى فصل « شرع الله » عن قانون إعمار الأرض « دفع الله الناس بعضهم ببعض » .

حلُّك الوحيد هو أن تُعْمِل « شريعة الله » كاملة ، فى حياتك اليومية بكل أداءاتها وممارساتها ، بما فيها طقوس العبادات المختلفة .

فلا نراك - مثلاً - وأنت موظف بإحدى الجهات الحكومية ، مُفْتَرِشاً « سجادة الصلاة » ... وعلامة الصلاة فى وجهك تبتلع ربع جبهتك ... وبعد فراغك من صلاتك ، يسألك جمهور المواطنين الواقفين فى انتظارك ... أمام مكتبك ... فنجدك وجها عبوساً مُكْفَهِراً « يقطع الخميرة من البيت » ... !

لا ... أضبط أداءاتك ... كل أداءاتك - دور دفع الله الناس - بربك - أى بحبه وبمنهج شرعه - تنضبط وينضبط لك كل شيء ... ولا تنسَ ياخليفة الله فى أرضه ، أن معك أمانة شريعة الله وآياته ... فلا تنسلخ منها لأنك أمين عليها ...

.. **« واتْلُ عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانْسَلَخَ منها فأتْبَعَهُ الشيطانُ فكان من الغاوين ... »** .... (الأعراف : ١٧٥)

.. **« فَمَثَلُه كمثل الكلب إنْ تَحْمِلْ عليه يلهث أو تتركه يلهث ، ذلك مَثَلُ القوم الذين كذَّبوا بآياتنا ... »** .... (الأعراف : من ١٧٦)

أى أن التارك شرع ربه كمنهج ضبط عام لكافة الأداءات كمن ينسلخ عنه ، أى يتركه ويتبرأ منه - ليس بالقول لكن بالفعل - يستوى حال وعظه وتذكيره مع عدم وعظه أو تذكيره لأنه مُصّر على ما هو فيه . كمثل الكلب سيظل يلهث - أى يُخرج لسانه خارج فمه - سواء تَركته أو طردته ... جعلنا الله ممن يستمعون القول ... فيتبعون أحسنه ..

إن أكرمكم عند الله أتقاكم ..

إنَّ أحبكم وأقربكم وأعزكم عند ربكم هو أكثركم طاعة له ، وخشية مخالفته ... حباً وإستسلاماً له ... قبل الطمع فى جنات أو الخوف من نار .

فعين الحقيقة ...أنك خليفته فى أرضه ... ولئن عرفته وفهمت مكانتك فى كونه ... لكان عين الأدب منك أن تُهرول ... لتُراجع عهد خلافتك ...! وتُراجع ما أنت حامله من أمانة شرائع ربنا الله جلّ شأنه . غير طامع فى جنة ... وكفاك ما أعطاك ... وبالهول ما أعطاك ... !

لكنه أكرم الأكرمين ... وَعَدَكَ بوعده الحق ...

« إن للمتقين مفازا ، حدائق وأعناباً ... »................... (النبأ ٣١ ، ٣٢)

إذن فشرط كونك باراً فى عهد خلافتك هو تقواك لربك الله .

كيف تكون تقياً ؟!

إستسلم له محبة وإجلالاً لقدره ومقداره العظيمين ، إستسلم له ولا تخف ، إنه ربك وراعيك .

خُذْ من يده شرائعه ... وخُذْ من شرائعه ... كل ما وصَّاك به لائقاً بك كخليفته ... خُذْ منها واحتضن مكارم الخلق والسلوك ، هى ثوبك المقبول أمام ربك ، والذى يليق بخليفة الله فى أرضه . خُذْ من شرائعه ... واعرف نواهيه ... كبائرها المهلكات أنبذها من قاموسك صغائرها المتسللات ... انصرف عنها قَدْر ما استطعت .

واعلم أنه ما نهاك عن كبيرة أو صغيرة ، وكان فيها ما يفيدك ... وَحَرَمك هو منها .!

إنه يعرف مالا تعرف ويرى ما لاترى ، وحكمته نافذة سارية وعلمه محصى محيط . ولو كان فى صغيرة أو كبيرة خير لك لأعطاك إياه . فاهجر ما نهى الله عنه تكن مهاجراً إليه ... !

لا تنسَ .... إنك تتجه للبداية .... !

كان ميلادك ... فى يوم كذا ... شهر كذا ... سنة كذا ... حسناً ... هذا هو تاريخ ميلادك ...!!

ويوم رحيلك .... سيكون هو تاريخ وفاتك ... !

... إذن فأنت مهما بَعُدَ تاريخ وفاتك عن تاريخ ميلادك ، لك بداية ونهاية ، وعمر زمنى أرضى مُحدَّد المُدَّة ... !

إذن فأنت « مؤقت » على الأرض ، ولست دائماً عليها . كُلُّنا نعرف هذه الحقيقة لكنها كانت واجبة المراجعة لأهميتها .

لكن ... ماذا عن بعد الرحيل من الأرض ؟! إنه انتظار الحساب ... ثم ... قيامة الأموات فى يوم الحساب ... !

حساب من ؟!

حساب خلفاء الله فى أرضه ... حساب من حملوا الأمانة ... لينظر مولاهم الحق فى أمرهم جميعاً . ثم ماذا ؟!

ثم فريق فى الجنة وفريق فى النار - والعياذ بالله - ... هذا ما نعرفه ... !

ولكن ، ما يجب أن نتأكد من معرفته ونضع فى أذهاننا تحته مائة خط .. !

هو أن أصحاب الجنة ... « **أصحاب الجنة هم فيها خالدون** » .... « البقرة : ٨٢ » « **لا يذوقون فيها الموت ..** » .. « الدخان : ٥٦ » وكذلك أصحاب النار .. « **ذوقوا عذاب الخلد** » « يونس : ٥٢ » ، . و « **أصحاب النار هم فيها خالدون** » « البقرة : ٨١ » .

أى أنه بعد موتتنا الأولى الأرضية ونهاية عمرنا الزمنى المحدود علينا ، لن تكون لنا موتة أخرى - إن شاء الله - وبمعنى أنه بعد بعثنا وحسابنا فنحن خالدون ، سواء أصحاب الجنة أو أصحاب النار .

أى أننا لن نموت مرة أخرى ، وإذا أردنا حساب عمرنا ابتداءً من بعثنا وحسابنا ، سيكون عمرنا « أبدياً » .. أى لا حساب للعمر .... !

ما معنى ذلك ؟!

إن ذلك يعنى ببساطة شديدة ... احتفاظ ربك .. بك .. للأبد .. !

... حيًّاً .. لا يجرى عليك الموت كما كنت فى حياتك الأرضية .. فما إذن معنى احتفاظ ربك للأبد بك حياً ؟!

ألا يعنى ذلك أنه ... يحبك بأكثر مما تتخيل أنت ... سبحانك ... ربنا الله .... اللهم ارزقنا حُبك ... وحبَّ من يحبك .... وحُبَّ عملٍ يُقِّرب إلى حبك ...

إنك فى عمرك الأرضى تتجه لنهايته ، لكنك نحو عمرك الأبدى تتجه لبدايته ... لا تنسَ ... فعمرك الأرضى مؤقت ... والكل يتجه للأبدية .... الصالح ... والطالح ... !

فاخْتَرْ فريقك ... يا خليفة الله ... !

إن كان يرزقك غير الله فاْقلَقْ ...!

إنْ كانت أسباب الرزق تعمل منفردة بلا رب يحكمها ... فقد يفوتك الرزق ...!

وإن كان العباد هم رازقيك ... فقد ينقلبون عليك ... ويفوتك الرزق ...!

وإن كنت أنت الذى ترزق نفسك ... فستفقد يوماً ... قدرتك على كسب الرزق ... وحتما سيفوتك الرزق ...!

وإن كان ربك هو الذى يرزقك ، فاسْعَ ... وقد تكفَّل هو لك بالرزق ...!

... « **وفى السماء رزقكم وما تُوعَدون** ... » ....(الذاريات : ٢٢)

تعَلَّمْ ... واعْمَلْ ...!

إن كنت لا تعلم ... فليس ذلك بمشكلة ... يمكنك فقط ... أن تتهيأ بكل طاقتك كى تأخذ بأسباب العلم ، وتُعوِّض ما فاتك ...

وإن كنت تعلم ، وتعمل بما تعلم ، تطبيقاً ، وتعليماً لأهل الإحتياج ، فبما علمت قد عملت ... والله يكفيك ...

وإن كنت تعلم ، ولا تعمل بما تعلم ... فمثلك ... « **كمثل الحمار يحمل أسفاراً** »
.... (الجمعة : ٥)

ومصيبتك أعظم ممن لا يعلم ... ولأن مَنْ لا يعلم عذره أنه لا يعلم ، ولكنك تعلم أو لا تعلم ... لا تعمل بما تعلم ... « **فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ...** » ....(الأعراف : من ١٧٦)

وأنت كذلك سيظل علمك حبيسك ، وتظل أنت تلهث ...!

فوربك ... لا يتّقى ربّك من عباده ... مثل العَالِمين .

... **إنما يخشى الله من عباده العلماء ...** » .... (فاطر : من ٢٨)

... « **قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ..** » ...... (الزمر : من ٩)

... « **شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم ...** » ...(آل عمران : ١٨)

... « **وتلك الأمثال نضربها للناس ، وما يعقلها إلا العالمون ...** »
.... (العنكبوت : ٤٣)

أنظر ... إن أشد العباد خشية لله هم العلماء . ويضرب الله تعالى الأمثال ويُقرّ أن من يدركها فقط من عباده هم العالمون . وينفى سبحانه وتعالى أن يتساوى من يعلم مع من لا يعلم ، بل أنه كرّم من يعلم ... عندما شهد لنفسه بالوحدانية وتلته الملائكة فى الشهادة ثم أولو العلم . انظر لمرتبتهم ... شهد الله ... والملائكة وأولو العلم ...

وإن من القلوب لما استحب العمى على أن يكون بصيرا . أولئك رفضوا أن يعلموا عن ربهم وشرائعه وعن أنفسهم ... ولماذا هم ...!

أولئك كالأنعام بل هم أضل سبيلاً ...!

... « **قل هل يستوى الأعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور** » ...
.... (الرعد : ١٦)

... « **لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون ...** » . (الأعراف : من ١٧٩)

اللهم نبِّهنا من غفلتنا ، واجعلنا ممن يعلمون ويعرفون ، ويعملون بما فى صدورهم ...

ادعُ إلى سبيل ربك

لو علمت ما يجب أن تعلم عن نفسك وعن شرائع ربك ... فأنت ممن نقول لهم ... « **ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن ...** »
....(النحل : من ١٢٥)

لا تَكْتم ربك فى قلبك ، وتنعم به منفرداً مع نفسك ، إن كنت قد أحببته كما هو أهل له ، فاظهره على لسانك ، وادعُ الناس إليه بكلام قلبك وليس بكلام لسانك ...!

إن كان ربك قد عرَّفك من هو ... فقد عرفت ربك بربك ... وإن كنت عرفته فقد أحببته ، وإن كنت أحببته ... دعه يتكلم هو من قلبك ... بلسانك ...!

ادعُ إلى سبيل ربك « بالرِّقة المحمَّـــدِّية » ، فلم يكن بالفظ غليظ القلب ، لذلك لم ينفض مَنْ حوله ... بل زادوا حباً له . فلَقد كان على خلق عظيم وكان بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً ...

ادع إلى سبيل ربك ... **بـ.. رقة محمد ... ووداعة عيسى ... وحنان يحى وحلم ابراهيم ... وحكمة لقمان وسليمان ... وعذوبة داود ...!**

قُلْ لهم ربكم يحبكم ... ولا تقل لهم ... ربكم سيذيقكم العذاب الأليم ...!

إلْقِ سيف مسرور – مسرور سياف ألف ليلة – واحمل محبة ربك ...!

... **« أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور وذكِّرْهُم بأيَّام الله »**

.... (ابراهيم : من ٥)

لتكن قلباً ماشياً على قدمين ... ولتتكلم محبة ربك عن ربك ...

.. لا إكراه فى الدين ... فلا تكره الناس أن يكونوا مسلمين ... ومن كفر فلا يحزنك كفره ...

.. **« .. إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون . وترجون من الله مالايرجون ... »**

.... (النساء : من ١٠٤)

... **« وجادلهم بالتى هى أحسن »** .... (النحل من : ١٢٥)

... **« وقل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين »** .... (البقرة : من ١١١)

ليكن هذا هو منهجك وأنت تدعو إلى سبيل ربك ، رقيقياً بحب ربك ، وديعاً بِمَعِيَّته ، ناطقاً بالرقة المحمدية ، مظهراً حقيقة وجذور حبك وإيمانك ... وليس «سيف مسرور» ولا « عضلات السواعد » ولا « التشنجات الجاهلة المُنَفِّرة » ..... !

ربك يحبك ... وأنت تحبه ... فإن أحبوه ... فإنهم أحبوه أول ما أحبوه فيك أنت ... فلا تُنَفِّرهُم من ربك ... بنفورهم منك ... !

وليكن **منهجك** ... « **جادلهم بالتى هى أحسن** » و « **قل هاتوا برهانكم** » ووجهك مشرق بنور ربك ... لا تنسَ ... برقة محمد ... و ... وداعة عيسى ... و .. حنان يحيى و .. حلم إبراهيم ... وحكمة لقمان وسليمان ... وعذوبة داود ... صلى الله عليهم وسلم .

ولكن ... لِيَعْلُ صوتك إن هم أساءوا لربك ... ولكن ... أيضاً ... فى حدود ما عَلَّمَك ربُك ... وأدَّبك ...

طَبِّقْ شرع ربك ... لكن ... لا تُشَرِّعْ ...!

طَبِّق شرع ربك ... على نفسك ... وعلى رعيتك ... أسرتك ومع من تتعامل ... ومع من تعمل ... طَبِّقْـهُ مع كل ما أنت طرف فيه .

فخلافتك لربك فى الأرض ... فى حيز دورك الذى أنت له وفيه الآن .

فإن طبّق كل منا شرع ربه فى كل تعاملاته التى هو طرف فيها ، وفى حيز دوره الذى هو له وفيه ، وبأسلوب « أدع إلى سبيل ربك » ، إنصلح حال الجميع ، وصاروا جمعاً من المتحابين فى ربهم . ولئن تحابوا فيه ... نصروه ... أى أعلنوه وأظهروه من قلوبهم إلى حيز القول والفعل . عنه يتحدثون .... ومن أجله يفعلون ... وفيه يتخاصمون ... ويتصالحون ... ويتحابون ... ولقد حقت محبته تعالى للذين يتناصرون من أجله . ولكن لا تُشرِّع ... ولا تسن السنن ... ولئن اجتهدت فالإجتهاد أصوله ، وبما لايُخِلُّ بقاعدة شرعية ، وبما يُيسِّر شرع ربك ولايُعقِّده ....!

فهو سبحانه الـمُشرِّع ... ولست أنت ... ولا.. أنا ....!

ولا نكون - والعياذ بالله - كالذين اجتهدوا بشيطانية نشطة ، فحلَّلوا حراماً ، وحرَّموا حلالاً مما رزقهم الله ، افتراء على الله ... ومَنْ أظلم ممن افترى على الله ... !

أصمت ... تنطق حكمة ...!

تعوَّد أن تستمع أكثر مما تتكلم ... ولئن استمعت ... فإما أنك تعلمت ... أو انتقدت ... أو حلّلت ... أو قارنت ... أو فهمت ماكنت تعلم ولكن بشكل جديد ...

صمتُك مَدْرسَة ... أنت فيها الدارس المتعلم ... من كل شيء ومن كل أحد . صمتك يُعبِّر عنك بحكمة العقلاء والشيوخ ، طالما ليس لديك ما تُثْرِى به . وإن كنت غير مُثْرٍ فى مجلسك الآن أو فى مجلس غيرك ... فلك وقتك ...

حتى وإن جاء وقتك ... فليس لأن تتكلم ... ومعك الميكرفون ...! فلربما يكون هناك من هو أجدر منك .... للإستحواذ عليه ...كن أكثرهم صمتاً ... تكن ... أعلمهم .... وأحكمهم .... **كُن آخرهم ... تكن أولهم ...!**

فالحكمة ... لاتخرج وسط الثرثرة ... ولتلتقط أنت من هذا ومن ذاك .... ومن هذه ومن ذلك ومن غيرهم .... تكن لك حكمة .

إذن فصمتك - مؤقتاً - الآن يخبر الآخرين والمتحدثين بأن وراءك حكمة ، وإن كنت مازلت فى طور صياغتها ... فحكمة صمتك أبلغ من قول اللاشيء ... وإن لم يكن وراءك حكمة فأنت حكيم لأنك عرفت كيف تصمت ... وهذا شيء ليس بالسهل ...!

وربك - تعالى - لايحتاجك ثرثاراً ... ولكن حكيماً تجيد أن تدعو إلى سبيله .

لاتتبدَّل ....!

لا تتبدَّل ... فنحن نريدك كما أنت ... !

لا تغضبْ ... فحين الغضب أنت آخر .... فقد تبدلت .... !

لا تهزل ... فحين الهزل ... أنت آخر ... فقد تبدلت ... !

لا تحزن ... أسى على مافاتك .... أو ما راح منك ....فلم يفتك ما كان سيبقى بيديك ...وماراح منك من كان ... أو ... ما كان ... سيخلد أمام عينيك ... لا تحزن ... فحين الحزن ... أنت آخر ... فقد تبدلت ... لاتفرح أكثر من اللازم .... بما فى يديك ... وبما آلَ ... إليك .... فلسوف يمضى لغيرك كما أتى إليك ...!

لا تفرح ... أكثر من اللازم ... فحين ذلك ... أنت آخر ... فقد تبدلت ... !

ونحن نريدك كما أنت ... !

فلا تتبدَّل ... !

حاسِبْهَا ... قبل أن يُحاسِبهْا هو ...!

حاسب نفسك يومياً وبصوت مسموع ... !

صدقنى ... إن علا صوتك عليها ... سَيَّرتَها طوعاً لك ... !

وإن علا صوتها عليك ... كنت تابعها ... تجُرُّكَ فى ذيلها ... !

أرفع صوتك عليها ... فعلاً ... بصوت مسموع ... جَرِّبْ ... !

كُنتِ تريدين كذا وكذا ... لماذا ؟! ... لن أفعل لكِ .. كذا ... !

ربنا .. قال كذا وكذا ... ! أنا لن أخالف ربى ... !

إنْهَرْها واقسُ عليها ... - بصوت مسموع - وعوِّدها أن تستمع لك ... !

قل لا ... !

لا ... لعينيك ... إن ... ، و ... لا ... لأذنيك ... إذا .... ، ولا ... ليديك .... لو ... ، ولا لقدميك ... عند .... ، ... لا ... لرجولتك .... إذا .... ولا ... لأنوثتك ... لو ... إنهروا النفس وأدوات فعلها ، فقد أعطانا ربنا الله وسائل نهرها وتأديبها ...

سَيِّرْ نفسك ... بآداب شرائع ربك ... وإن قاومتك اغلُظْ عليها إلى أن تنضبط بآداب ربك .....

أبديون .... ماذا بعد ...؟!

إن كان الوقت يململنا ...يضايقنا ، فلأننا نطلب من غدنا أن يأتى أسرع ! وإن جاء الغد ... سيكون كأمس ... وسنطلب غداً جديداً ... وأن يأتى أسرع ...

إننا ننتظر الغد الأخير ...نتوقع فيه الأفضل ...

إنتهى كل غد ... ماذا بعد ؟!

أبدية ... ما بعد أن يقوم الناس لرب العالمين ......

ليس هناك للزمن حساب ... لايسرى علينا زمن الأرض ....

أبديون ... نكون ...تُرى ماذا بعد ... ؟!

يحتفظ بك ربك للأبد ... فأنت صنعة يديه وموطن حبه ......

أين ... ؟!

حيث ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ....

أيضاً ..ماذا بعد ... ؟!

لا ...

إن الصانع أعظم ... من كل صنعة ...

فجمال صنعته حيث ما لا رأت عيون ولا سمعت آذان ولا تمنت قلوب ...

ليس هو نهاية المطلوب ... !

فجمال الصانع أعظم وأعظم وأعظم ...

فللإشباع مكان ... فمهما تنعَّمت ... لا بد وأن تشبع ...

التنعيم بلا إشباع ... بكمال جمال الصانع ... هو ما نطلب ...

المُصَوِّر ... هو ما نطلب ... وليست كل الصور ... !

أن تشبع ... ولا إشباع ... أن تفنى فيه ولا فناء ...

أن تتمرَّد ذاتك على النعيم والتنعيم ... ولا تقر عيناً ... إلا ...بخالق النعيم والتنعيم ....!

متعبون ...ثقيلو الأحمال ... لأجل ... !

... أنت الآن فى أحد لجان الامتحان ... بالكرة الأرضية ... تؤدى الإمتحان ... !

... هذا هو الإمتحان العام لكل البشر ... ولكن .. أين خصوصيتك ؟!

... فالكل يولدون ... ويكبرون ... وينجبون ... ويرحلون ... الكل يبدأ وينتهى ... أنت ماذا عنك ؟!

أمُستَعدّ أنت لاختبار الخصوصية ... لاختبار المستوى الرفيع ... ؟! فلطالما أنطوت نفسك على بَصيص من النور ... ثق أن رحمات ربك لك بالمرصاد !... « **ولو عَلِمَ الله فيهم خيراً لأسمعهم** ».

نعم .. ستطاردك رحمات ربك إلى آخر لحظة ... لكى تزيد وتكبر رقعة النور ، حتى تنضح أنت بالنور ...

وكما استخلاص أنْفَس المعادن من كل الشوائب ... كما استخلاصها بالنار .... ، كذلك تُسْتَخلص « نفوس النور » ... ، وتلك هى اختبارات الخصوصية والتفرد ... أن تدخل أنت أتون الإختبارات الخاصة من ربك تعالى ، ليستخلص نفسك له ، وليضمك لعالم النورانيات فلا تشتكِ ذلك لأحد لأنك ستكون شاكياً الله لغير الله ...!

وهنا حتماً ستختل معادلة العدل الإلهى ... لصالحك ..لأن حاكمها لن يُطَبِّق مطلق العدل فقط لأنه الكريم ، ولذلك سيسبق فضله عدله ... فلقد استخلصك لذاته ... لتكون من خاصة أهل النورانيات ...

ولو سارع لك فى الدنيا بالخيرات ...لأتيته فى الآخرة من المُفلسين ...!

لكنه الكريم ذو الفضل العظيم ... يؤتيك هنا بَقَدَر ... ليكون لك عنده أعظم قدر ومقدار ... يوم تلقاه ...

لو أنه ما أحبك ...لما أتى بك أصلاً ... ولما كنت أنت موجوداً ...لكن حبه سَبَقَ فكنتَ أنت هنا ... ومن أجل حبه أيضاً ستكون هناكِ ...!

فألقِ عليه همَّك ... فهو حتماً سيعولك ...!

وأقْرعْ بابه يفتح لك ... واستمع لقارع بابك ... فإنى أعتقده هو ...!

من أين وأين ولأين ؟!

إنْ تصوّر من يحيا فى الدنيا أنه لها وهى له فقد أخطأ لأنه يقف فى محطة انتقالية .

لقد كان فى علم الله الأزلى ، ثم أوجد له ذاتاً ، ثم علّمه كل شىء فتشكّلتْ تلك الذات . وأعطاه جسداً وروحاً . وقال له من أجلك خلقت كل شىء .

ولكن خلقتُك لنفسى ... لتخلفنى فى أرضى ... ولتكون عليها من يلينى . وذلك عهد الخلافة ، وتلك شرائعى تحويها كتبى .

اهبط عليها بسلام ... واستقمْ كما أُمرت .. ولا تُضَيِّعَنَّ عهدَ الخلافة ولا شرائعى ولا كتبى ...

وأحذر صفقات الغى والوهم . لا تُلْقِ بصفقتى للكينونة الحقيقة وللأبدية والخلود ، مقابل صفقات مؤقتة زائلة .

... أنا الحقيقة الوحيدة ، أنا الحق ، وما سواى زائل ، فهو منى وإلى يعود .

... خلقتك وخلقت كل شىء ، وجعلت لك كل شىء ، لكنى لم أجعلك لشىء .

... أنت الذى تلينى فى الأرض ، ومن بعدك يأتى كل شىء . ضع كل شىء تحت قدميك ، تكن لى وأكن لك .

يا عبدى ... ما وسعتنى أرضى ولاسمائى ولكن وسعنى قلب عبدى المؤمن .

ياعبدى ... أين من سبقوك ؟! ... عادوا إلىّ ... وإلىّ تعود .

أذكرنى أذكرك ... وتقرب إلىّ ... أتقرب إليك أكثر ... وأمش إلى آتيك هرولة ...! أطعنى ... يُطعْكَ كل شىء ... أنت المحتاج إلىّ ... ولستُ أنا الذى يحتاج لشىءٍ أو أحد ... لم أخلقك للدنيا كمنتهى ... **"وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور..."**

.... (الـ عمران : ١٨٥)

.. **" يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فمُلاقيه ... "** .... (الإنشقاق : ٦)

....

....

....

ففِــرُّوا إلى الله ... !!

وسط كل موجات التلاطم ، وأعاصير النفوس ، وضياع المعايير تتلألأ ومضات ساحرة من بعض القلوب البسيطة ... !!

قلوب خلعت سُلطان الأرض الزائف ، سدَّت آذانها عن صُراخِها ونهيقها ، وأنوفها عن رائحة المزبلة التى تفوح منها . وأغمضت عيونها عن قُبح ما تدعو إليه وتتزيَّن له بِزَيْفها وضلالها البرَّاق .

قلوبُ ارْتَدَتْ نورانية إشراقات وفيوضات رحمات ربها . فأشرقت القلوب بنور ربها .

وتَّلألأت فى العيون لآلىءُ دمع عشق المحبوب بحق . دموع عشق ربهم الحق . فسطعت على الوجوه تجليات من أسرار ربهم الحق .

وسط كل الزحام رموا بالإسم والقلم والحرف والوصف ... ساروا إلى مولاهم الحق . وسط كل المعالم التائهة والموجات المتلاطمة ، وأعاصير النفوس الحائرة ... ساروا إلى النور ، وما أحوجهم إلى النور .

قَادَهُمُ النور ... ليخرُجهم مِن الظُّلمات إلى النور .

قلوبٌ بسيطة تَعَمْلَقَتْ بربها ، فصار كل شىء تحت أقدامها قِزماً لا يبلُغُها وهى بالغته وساحقته بإذن ربها ...

قلوبُ أشرقت بنور ربها ، لا تُشركُ معه شيئاً ولا أحد . هَاجَرُوا لِمَنْ .. « **ليسَ كمثله شىء** » تاركى كلّ شىء ، حاملى قلوبهم الملأى به ، والتى وسَعَتْهُ ولم تَسَعْهُ أرضُه ولا سماؤه ... « **نورهم يَسْعى بين أيديهم وبأيْمَانهم** » .. « **يقولون ربَّنا أتْمِم لنا نُورنا واغْفِرْ لنا ، إنك على شىء قدير** » .... (التحريم ٨)

إني ذاهب إلى ربي سيهدين ...

أرفض دق الساعات ...!

أفترش الشوقَ إليكَ وأنتظرك ....،

فى كل الأوقات ....

وأفَتِّشُ فى كل ثوانِ الأيام .... أراجعها ... ،

أرفض دق الساعات .... !

الوقت يمر يُزلزلنى .... ،

بُركانى لا يهدأ أبداً ... ،

ومُؤذِّن قلبى لا يْفتُر ... ،

تكبير ... تكبير ... آهات ....

وجهك أطلب ياربى ... ،

أجلسنى فى حضرة قدسك ... !

ارفعنى فوق الأشياء ....!

أتوضأ نوراً من نورك ....

أركعُ ... أسجدُ ... فى حبك ...

خُذنى حيث اللاعودة ... حيث اللاأشياء .... !

حيث اللا معنى ولا عِلْم ... ولا وصف صفات ...

حيث يضيع العقل ... ومعه الـ « أين » ....،

وتصمت صوت الساعات ...

حيث يضيع الحرف ... يضيع الفعل ومعه الإسم ....،

وكل الكلمات ...

فى حضرة قدسك ... نورك يمحو الظلمات ...

... لاظلمات ... !

... لا كلمات ... !

لا أمكنة ولا ساعات ... !

لاوصف صفات ....

لا حرف ... ولا كلمات ...

صمتى ينطق عنى ... سبحانك ....،

سبحانك وبحمدك ... ليس كمثلك شيء ...

لا وصف صفات ....

سبحانك وبحمدك ... ليس كمثلك شيء ...

لا حرف ولا كلمات ...

فى حضرة قدسك ...،

لا شيء سواك ...!

لا شيء سواك ... !

حيث الكون ...كما ... لا ..كون ... !

ليس ... سواك ...

نعلم عنك بفعلك ....

أفعالك تثمر أسماءً وصفات ...

أما الذات ...

لا حرف ولا كلمات ...

لا وصف صفات ...

ليس كمثلك شيء ...

ليس ... سواك ...

لا يعرف ذاتك ... إلاك ... !

تنهار أمام الذات جميع الأشياء ... !

تتعالى فوق الكل ... ،

فلا إسمَ ... ولا وصفَ ... ولا كلمات ...

سبحانك ... ،

يامَنْ ... مَلَكَ المالك والمملوك ....

سبحانك ... ما عرفوك ....!

سبحانك ... لو عرفوك ....

لامتنعوا أن يصفوك .... !!

....

أحمد أبو النور

الفهرس

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة
- هل كل مـا يدور بذهنك .. هو منْك ... ؟!	
- الجهل بالعدو يُقَوِّية	
- العالَم الشيطانى ... تخصُّصَات .. !!	
- الشـيطان مُكَوِّن مَنطقى ... فى نظام الكون !!!	
- قانون الضِّـدِّ يـَّة المُنَسِّـقَة	
- أنت الذى تختار الفريق المُصَاحِب لك	
- ماذا عن لحظات الغَضب ؟!	
- الشيطان يلعب دور المُفَكِّر	
- الشـيطان يلعب دور الواعظ	
- الفكر والأداء الشيطانى لا يُقرأ مُنذ الوهلة الأولى ... !	
- الأوليا ء والقديسون واختراقات الشياطين	
- المعجزات ... خُطط إبليسيـة للإضلال !!!	
- معرفة أسرارك ليست مُعجزات ولا بركات ولا كرامات .. !!	
- الإيمان بالمعجزات المفتعلة وإنكار الجن والشياطين ... !!	
- أنت صاحب القرار والسلوك الظاهر الأخير	
(التأمل الثانى عشر)	١١١-١٣٠
- **(نائمون أكثر من رُبعْ العمر ٠٠!)**	
- الإنسان ينام أكثر من ربع العمر !!	
- النفس يقبضها الله - تعالى - أثناء النوم	
- راحة النفس خارج الجسد !!	
- النفس أثناء النوم « فيما لا يُرى »	
- أنت الذى تختار أصدقاءك فى عالم « مالا يُرى »	
- النفس فى عالم الإمداد والشَّحْن	
- عالم الـ « أين » والـ « متى » خارج حَيِّز التَّحكُّم	
- استقبالات واحتفالات شيطانية	
- احتفالات ملائكية وتسبيحات سمائية	

رقم الإيداع بدار الكتب
٩٨/٣٤٠٥

- نحن أصحاب وجود فى هذا الكون .. فلماذا أَوْجَدَنَا الله ... أو لماذا خَلَقَنَا ... ؟!

وماذا لو لم يخلُقْنا الله ... تعالى ... ؟!!!!

هو مسيحى .. وأنا مُسْلم ... هى جميلة .. والأخرى أقل جمالاً ... هو غنى ... والآخر فقير ... !

هذا صحيح والآخر مريض ... هذا مصرى .. والآخر أمريكى ...

هذا وُلِدَ سنة ١٩٩٠ والآخر ولِد سنة ١٨٠٠ لماذا ... ؟!

لماذا خلقنا الله - تعالى - على ما نحن عليه ... ؟! هل لنا دور فى ذلك ... ؟! نعم ... لنا دور ...

كيف ... ؟!! ... وهل لنا درجة قدم فى الأزلية ... ؟! ومن أين أتينا ولأين نذهَب ... ؟!

يحدث ما يحدث .. وتعوَّدنا أن نسمع .. " واعمل ايه النصيب " ، " مش بايدى " ، " مكتوب " !!

وبلغة أخرى يقول آخر .. أنا مُسَيَّر وغير مسئول عن أحداث كثيرة فى حياتى ..!

ألم يقل الله فى القرآن .. " يهدى من يشاء ويُضلّ مَنْ يشاء "

ويقول آخر وكذلك جاء بالتوراة .. " يُرحِّم من يشاء ويُقسِّى من يشاء .. " .. فكيف إذن يحاسبنا الله ..؟! وما هى الحقيقة ؟!!

وأكثر من ربع عمرنا نقضيه نائمين ...

ونرى ما نرى أثناء نومنا ... فهل يُسلّينا الله تعالى أثناء نومنا ... ؟! حاشا لله ...

وما هى حقيقة عوالِم ما لا يُرى التى تحيط بنا طيلة عمرنا ... ؟ !

والكثير والكثير غير ذلك من مئات علامات الإستفهام

الإنسانية الحائرة ... والتى لم تجد معظمها إجابة ... حتى الآن ... !!

فما هى الحقيقة ... ؟!!!!

دار وهدان للطباعة
٥٩٢٣٣٤٤ - ٥٩٠٥٠٣٦